

مَجَلَّةُ مَلْتَقَى أَهْلِ اللُّغَةِ

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية ، والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية

في علم متن اللغة والمعجمات

(في الابتداء) بحذف الياء أم بإثباتها ؟

دفائن الحماسة (٢)

شذرات من كتاب (أقسام القرآن) لابن القيم (٣)

الرؤية في أحكام حفص من طريق الشاطبية

أرجوزة (تذكرة الإملاء)

إبداعات أدبية لجلساء الملتقى

مَجَلَّةُ مَلْتَقَى أَهْلِ اللُّغَةِ

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية والمقالات
والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية
لأعضاء ملتقى أهل اللغة
تصدر مرتين سنوياً

ذو القعدة

١٤٤٠

لشرف العام على الملتقى

رضوان بن محمد آل سماعيل

الغلاف

بسملة الإبداع



basmah.me

تصدر عن ملتقى أهل اللغة

www.ahlalloghah.com



من حلقة النحو والتصريف

في الألف بنفء

بحذف الياء أم بإثباتها ؟

حكم الساكن قبل لام التعريف المحركة

لا لقاء الساكنين

فيصل المنصور

(في الابتداء) بحذف الياء

أم (في ابتداء) بإثباتها ؟

حكم الساكن قبل لام التعريف المحركة لالتقاء الساكنين

إذا اتَّصَلَتْ (أَل) بِاسْمٍ مَبْدُوءٍ بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ ، نَحَوِ : (الْإِنْتِهَاءِ) ، و (الْاسْتِغْفَارِ) ،
و (الْاسْمِ) ، و (الْإِثْنَيْنِ) :

❖ فَهَلْ تُعَدُّ لَامُ (أَل) مُتَحَرِّكَةً ؛ فَتُحَذَفُ هَمْزَةُ الْوَصْلِ مِنْهَا عِنْدَ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا ،
وَلَا يُتَخَلَّصُ مِنْ سَكُونِ مَا قَبْلَهَا إِذَا كَانَ سَاكِنًا ؟

❖ أَمْ تُعَدُّ سَاكِنَةً ؛ مُرَاعَاةً لِأَصْلِهَا فَتُثَبَّتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ عِنْدَ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا ،
وَيُتَخَلَّصُ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ؟

جوابُ ذلكَ : أَنَّهُ يَجُوزُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَجْهَانِ الْمَذْكُورَانِ :

• الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنْ تُعَدَّ اللَّامُ سَاكِنَةً فِي الْحُكْمِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَحَرِّكَةً فِي الْحَالِ ،

فَيُنَبِّئُنِي عَلَى ذَلِكَ أَمْرَانِ :

- أحدهما : أن تُثبتَ نطقَ همزةِ الوصلِ في الابتداءِ ، فتقولُ : (الْإِنْتِهَاء) ،
 (الْإِسْتِغْفَار) ، (الْإِسْم) ، (الْإِثْنَيْن) ولا تحذفها مع ذهابِ الغرضِ الذي
 جيءَ بها من أجله ، وهو التوصلُ إلى النطقِ بالسَّاكِنِ ، وذلك بتحريكه ،
 لأنك تُقدِّرُ بقاءَ سكونه ؛ إذ كانَ ذلك هو الأصل .

- ثانيهما : إذا وقعَ قبلها كلمةٌ آخرُها ساكنٌ أُجريتَ عليه حكمَ التقاءِ
 السَّاكِنَيْنِ :

أ. مِنْ تحريكِ نحوِ : (مِنْ الْإِنْتِهَاء) ، (واجبٌ [=نِ] الاحترامُ) ، (عَنْ
 الْإِسْتِغْفَارِ) .

ب. أو حذفِ نحوِ : (فِي الْإِسْم) بحذفِ ياءِ (فِي) نُطْقًا .

• الوجهُ الثاني : أن تعتدَّ اللَّامَ متحرِّكةً لا ساكنةً ، كما هو ظاهرُ حالِها ، فينبني على
 ذلك أمران :

- أحدهما : أن تحذفَ همزةَ الوصلِ في الابتداءِ فتقولُ : (لِإِنْطِلَاقُ) ،
 (لِإِسْتِغْفَارُ) ، (لِإِتِّجَاهُ) ، (لِإِسْمُ) ، (لِإِثْنَيْنِ) .

- ثانيهما : إذا وقعَ قبلها كلمةٌ آخرُها ساكنٌ لم تُجرِ عليه أحكامُ التقاءِ السَّاكِنَيْنِ ،
 فتقولُ : (مِنْ لِنْتِهَاءِ) ، (واجبٌ [=نُ] لِاحْتِرَامِ) ، (عَنْ لِسْتِغْفَارِ) ،
 (فِي لِنْطِلَاقِ) بإثباتِ ياءِ (فِي) نُطْقًا ، تفعلُ ذلك ؛ لأنَّ اللَّامَ في تقديرِكَ

مُتَحَرِّكَةً ، لا ساكنةً .



والحجّة لذلك السَّماعُ ، والقياسُ .

*** أمّا السَّماعُ :**

فقد حكى الفراءُ (ت ٢٠٧) أنَّ « العربَ تقولُ : قُمْ لَانَ ، وقُمْ الْآنَ ، وُصِمَ الْاِثْنَيْنِ ، وُصِمَ لِاِثْنَيْنِ » ^(١) ، فذكرَ جوازَ الوجهَيْنِ . وحركةُ لامِ (الْاِثْنَيْنِ) حركةُ التّقاءِ السَّاكِنَيْنِ ، فهي من جنسِ حركةِ (الْاِبْتِدَاءِ) ، و(الْاسْتِغْفَارِ) ، ونحوهما .

وأجازَ بعضُ القُرّاءِ الْاِبْتِدَاءَ بـ (الاسمِ) في قوله : ﴿ بِئْسَ الْاِسْمُ ﴾ بإثباتِ الهمزةِ مُراعاةً للأَصْلِ ، وبَحَذْفِها مُراعاةً لِلْعَارِضِ ^(٢) . وحكُمُ (الْاِسْمِ) و(الْاِثْنَيْنِ) حكْمُ (الْاِبْتِدَاءِ) و(الْاسْتِغْفَارِ) ونحوهما ؛ لأنَّ حركةَ اللَّامِ فيهنَّ لِالتّقاءِ السَّاكِنَيْنِ .

(١) (معاني القرآن ١٠٢ / ٣) وقد وقعَ فيه بعضُ التّحريفِ . وانظرَ أيضًا : (الْحُجَّةُ ٦ / ٢٣٩) لأبي عليّ الفارسيّ . وصوابُ هذه العبارةِ فيه : « اضرَبَ اِثْنَيْنِ ، وأكرمَ ابْنَيْنِ » هو : « اضرَبَ الْاِثْنَيْنِ ، وأكرمَ الْاِبْنَيْنِ » . وهي موضعُ الشَّاهدِ .

(٢) (النَّشْرُ ٢ / ٤٤٠) لابنِ الجَزَرِيِّ ، تح : أبو الجود .

*** وأما القياس :** فإنه يؤيد الوجه الأول ، وهو اعتداد اللام ساكنة ، من

طريقين :

• الطريق الأولى : القياس على الأصول ، وذلك من وجهين :

- الوجه الأول : أن أصل لام (أَل) السكون . وهذا هو معقد جبلتها ، ومبتدأ

نشأتها ، وقانون استعمالها في عامة أحوالها ، وجمهرة تصرفاتها ، كـ (القمر) ،
و (الشمس) ونحوها .

وبكره ما أخرجوها عن أصلها هذا في نحو (الانتهاء) ، و (الاستغفار) ،
و (الاثنين) فحرّكوها بالكسر ، إذ اضطرّهم إلى ذلك شدة الخلّة ، وتضايق
المحلّة بالتقاء الساكنين .

كما أخرجوها عن أصلها أيضاً في نحو (الآن) تخفيف (الآن) ، و (الأولى)
تخفيف (الأولى) ، و (اليان) تخفيف (الإيوان) ، فحرّكوها بالفتح والضم
والكسر ، بعد نقل حركة المحذوف بعدها إليها .

- الوجه الثاني : أن هذا التحريك مع عروضه ، وكونه اضطراراً لا اختياراً هو
أيضاً قليل ؛ إذ لا يكون إلا :

١ . في المبدوء بهمزة وصل من الأسماء ، وهي الأسماء العشرة - على أن من

النُّحَاة مَنْ مَنَعَ لِحَاقَ (أَل) لِبَعْضِهَا كـ (امرئ) ، و (امرأة) - ، ومصدرُ

الْخُمَاسِيَّ كـ (الابتداء) ، و (الانتهاء) ، ومصدرُ السُّدَاسِيَّ كـ (الاستغفار) .

٢. وإِلَّا فِي مَا وَلِيَ (أَل) فِيهِ هَمْزَةٌ ، كـ (الآن) ونحوها .

وهذه الألفاظُ مع قَلَّتِهَا هِيَ لُغَةٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا إِلَّا بَعْضُ الْعَرَبِ ، مِمَّنْ مَذْهَبُهُ

تَخْفِيفُ الْهَمْزِ ، فَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الَّتِي تُحَرِّكُ فِيهَا (أَل) ضَيْلَةٌ جَدًّا إِذَا

قِيسَتْ بِعَامَّةِ الْأَسْمَاءِ ، سِوَاءِ أَكَانَتْ اللَّامُ فِيهَا قَمَرِيَّةً ظَاهِرَةً ، أَمْ شَمْسِيَّةً

مَدْغَمَةً .

• الطَّرِيقُ الثَّانِيَّةُ : الْقِيَاسُ عَلَى النَّظَائِرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ حَكَّوْا جَوَازَ الْوَجْهَيْنِ :

مُرَاعَاةِ الْأَصْلِ ، وَمُرَاعَاةِ الْعَارِضِ ، فِي السَّاكِنِ قَبْلَ (أَل) الْمُتَحَرِّكَةِ بِحَرَكَةِ الْهَمْزَةِ

الْمَحذُوفَةِ بَعْدَهَا ، كـ (الْحَمَرِ) فِي (الْأَحْمَرِ) ، فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ مَثَلًا : (مِنْ

الْحَمَرِ) ، و (مِنْ لَحْمَرٍ) .

وَمِمَّنْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْفَرَّاءُ فِي نَصِّهِ الْمَنْقُولِ آتِفًا ، وَالْأَخْفَشُ (ت ٢١٥) ^(٣) وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ التَّزَمَ وَرَشُّ فِي الْقِرَاءَةِ بِمُرَاعَاةِ الْأَصْلِ فِي نَحْوِ : ﴿ عَنِ الْآخِرَةِ ﴾ ، ﴿ مِنْ

(٣) فِي (مَعَانِي الْقُرْآنِ ١ / ١١٣) لَهُ . وَانْظُرْ أَيْضًا : كِتَابَ (الْأَدْغَامُ ص ١١٦) لِأَبِي سَعِيدِ السَّيرَافِيِّ ،

و (الْحُجَّةُ ٦ / ٢٣٨) لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ ، وَ (التَّكْمَلَةُ ص ٢٣٠) لَهُ ، تَح : كَاطِمُ الْمَرْجَانِ .

الرَّضِ ﴿٤﴾ ، ﴿وَأَلْقَى اللَّوَّاحَ﴾ ، ﴿قَالُوا الْآنَ﴾ ^(٤) ويجوزُ أيضًا إثباتُ همزةِ الوصلِ عندَ الابتداءِ بها مُراعاةً للأصلِ ، نحو (الحَمَرِ) ، وحذفُها مُراعاةً للعارضِ نحو (الحَمَرِ) . وهما وَجْهانِ جائِزانِ لورْشٍ وغيره ^(٥) .

ولا فرقٌ مؤثراً بينَ حركةِ التقاءِ السَّاكِنَيْنِ وحركةِ النَّقْلِ ، فكِلَاهُمَا حركةٌ عَارِضَةٌ . وإذْ بَلَّغْنَا عَنْهُمْ مُرَاعَاةَ الْأَصْلِ ، وَمُرَاعَاةَ الْعَارِضِ فِي (أَل) إِذَا تَحَرَّكَتْ بِحَرَكَةِ النَّقْلِ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَكْمُهَا إِذَا تَحَرَّكَتْ بِحَرَكَةِ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ .

وزعمَ ابنُ جَنِّي (ت ٣٩٢) أَنَّ بَيْنَ حَرَكَةِ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وحركةِ النَّقْلِ فَرْقًا ، فَأَجَازَ فِي مَا حَرَكْتُهُ حَرَكَةُ نَقْلِ كـ (الْآنَ) الْوَجْهَيْنِ ، وَلَمْ يُجِزْ فِي مَا حَرَكْتُهُ حَرَكَةُ التَّقَاءِ سَاكِنَيْنِ إِلَّا مُرَاعَاةَ الْأَصْلِ ، فَلَا يَجُوزُ عَلَى رَأْيِهِ أَنْ تَقُولَ : « فِي لَانْتِظَارٍ » بِإِثْبَاتِ يَاءٍ (فِي) وَلَا : « مِنْ لَابْتِدَاءٍ » ، قَالَ : « لِأَنَّ حَرَكَةَ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ أَوْعَفُ مِنَ الْحَرَكَةِ الْمَنْقُولَةِ مِنَ الْهَمْزَةِ الْمُخَفَّفَةِ ؛ لِأَنَّ حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ الْمُخَفَّفَةِ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ كَانَتْ مَلْفُوظًا بِهَا فِي حَرْفٍ صَحِيحٍ مُقَدَّرٍ ، فَلَمَّا حَذَفْتَهُ نَقَلْتَهُ إِلَى مَا قَبْلَهُ ... وَحَرَكَةُ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ

(٤) (النَّشْر ٢ / ٤٤١) .

(٥) (النَّشْر ٢ / ٤٤٠) .

لا تَلْزَمُ لزوم هذه ؛ لأنه إذا زال أحدهما زالت معه ^(٦) .

وهذه التفرقة منه بين الضربين مدفوعة بحكاية الفراء عن العرب استعمال الوجهين ، وذلك قولهم : « صُمِ الاثنین » ، و « صُمِ لاثنین » . والسماع حاكم على القياس .

على أن هذا القياس نفسه لا يُسلم به ، إذ كما أن حركة التقاء الساكنين تزول إذا زال أحد الساكنين فكذلك حركة النقل تزول إذا رُدَّ المحذوف في لغة من يهمز ، بل إن رُدَّ المحذوف أكثر وأفشى وأعرف من زوال أحد الساكنين ، فما أكثر ما يُقال في (الرض) : (الأَرْض) ، ولكننا لا نجد لام (الابتداء) ، و (الاسم) تُسكن إلا إذا قُطعت همزة الوصل بعدها في ضرورة الشعر ، فقل : (الابتداء) ، و (الاسم) .

هذا مع أن حركة النقل ليست لها صورة واحدة ، لأنها تكون فتحة وضممة وكسرة كما مضى بيانه ، وحركة التقاء الساكنين لا تُفارق الكسرة . فإن لا تكن حركة التقاء الساكنين أقوى وأشدَّ لزومًا من حركة النقل فإنَّهما بمنزلة سواء .

(٦) (الفسر ٣ / ٨٨) ، تح : رضا رجب . وقد عرفت موضع هذا الكلام من الأستاذة عائشة في (الحديث

٦٦٥٠) في مُلتقى أهل اللغة . وانظر أيضًا : (الخصائص ٣ / ٩٠) ، تح : النجار .

وتفسيرُ عِلَّةِ هذا الوجهِ - وهو مُراعاةُ الأصلِ - أنَّ العربَ لَمَّا وَجدوا هذا التَّحريكَ عَارِضًا لا دَائِمًا ، وضرورةً لا اتِّساعًا ، وقَسْرًا لا اختيارًا لم يَشْمَلُوهُ بعنايتهم ، ولم يَحْطُوا إليه رِحَالَهُمْ ، ولم يُنَوِّلُوهُ مِنَ الحَدَبِ والحَفَاوَةِ إِلَّا بالقَدْرِ الَّذِي يَرَوْنَهُ مُجْزَأً عن نَفْعِهِ لَهُمْ ، وقيامِهِ بِخِدْمَتِهِمْ ، وأَعْنَقُهُمْ مَعَ ذَلِكَ صُورًا إلى أَصْلِهِ ، ونَفْسُهُمْ مُتَطَالَّةً إِلَيْهِ ، وأفندتْهُمْ لا تنفكُ تُنازِعُهُمْ إلى سُرْعَةٍ مُراجِعَتِهِ ، والأُوبَةِ إِلَيْهِ .

وكأنَّهم أرادوا بذلك أن يَحْطُوا العَارِضَ دونَ الأصلِ درجةً ؛ إذ كَانَ وجودُهُ تابعًا لوجودِهِ وَمَنُوطًا بِهِ ، فنَصَبُوا بالصُّدُودِ عنه ، وَقَلَّةِ الحَفْلِ بِهِ دَلِيلًا على مَنَبَتِهِ ، وَمَنَبَهَةٍ على أرومَتِهِ .

كما كَرِهُوا أن يَسُوُّوا الأَثِيلَ التَّلِيدَ بالطَّارِفِ الجَدِيدِ ، ويَعْدِلُوا القَدِيمَ الثَّابِتَ بالمُسْتَأَنَفِ الحَادِثِ ، وَيُعَلِّقُوا أَحْكَامَهُمْ على مَا يَعْلَمُونَ سُرْعَةً تَحْوِيلَهُ ، وَوَشْكَانَ رَحِيلَهُ .

وهذا شاهدٌ على بُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وَنَفَازِ فِطْنَتِهِمْ^(٧) .

(٧) وانظر مسألة الاعتداد بالأصل والعارض في مقالتي (تقويم التقييم) ، المنشورة في مُلتقى أهل اللُّغة ، في (الحديث ٧٤٤٤) ، ففيها شيءٌ من البسط والبيان ، وقد نُشرت كذلك في مجلة المُلتقى (العدد ٢ ص ٥) .

وقد علمت أيضًا أنَّ الكلمَ الَّتِي تُحَرِّكَ لَامٌ (أَل) فيها هي مع عُرُوضِهَا قَلِيلَةٌ
 غَيْرُ غَالِبَةٍ ، فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَوْ اعْتَدُّوا بِهَذَا الْقَلِيلِ الْعَارِضِ لَأَحْوَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ
 يَتَحَوَّلُوا عَنْ قَدِيمِ إِلْفِهِمْ ، وَيَنْقُضُوا مُسْتَحْصِدَ عَادَتِهِمْ ، فَيُغَيِّرُوا حَكَمَ مَا يَتَقَدَّمُهَا مِنْ
 تَحْرِيكِ أَوْ حَذْفٍ ، وَيُسْقِطُوا هَمْزَةَ الْوَصْلِ مِنْهَا إِذَا ابْتَدَءُوا بِهَا ، وَفِي النُّقْلَةِ وَمُفَارَقَةِ
 الْعَادَةِ الْعَنَاءُ وَالنَّصَبُ ، وَالِاسْتِهَانَةُ بِالْإِخَاءِ ، وَالْحُتُولُ عَنْ الْعَهْدِ . فَسَامُوا هَذَا
 الْقَلِيلَ الْفَاذَّ حَكَمَ الْجُمْهُورِ الْأَعْظَمِ مِمَّا تَلَحُّقُهُ (أَل) ، وَأَهْلَكَوهُ فِيهِ لَغْوًا ، وَلَمْ يَعْبَأُوا
 بِتَحْرِيكِ لَامِهِ ؛ إِذْ كَانَ هَذَا قَلِيلًا نَادِرًا .

وَسَهَّلَ لَهُمْ رُكُوبَ هَذِهِ الْخِطَّةِ أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ لاحتاجوا إلى أن يردُّوا
 مَا اعْتَادُوا إِسْقَاطَهُ ، وَيَعُودُوا إِلَى الْإِفْتِقَارِ إِلَى مَا عَرَفُوا مِنْ أَنْفُسِهِم الْقُدْرَةَ عَلَى
 الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ ، فَيَرْجِعُوا بِذَلِكَ إِلَى مَرَارَةِ الثَّقَلِ بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ الْخِفَّةِ ، وَيَعَانُوا
 مَشَقَّةَ الصُّعُودِ وَقَدْ جَرَّبُوا رَاحَةَ النُّزُولِ ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُونَ : « فِي الْبَيْتِ » ، أَوْ « فِي
 الدَّارِ » بِحَذْفِ يَاءِ (فِي) نُطْقًا إِلَى مَا لَا يُحْصَى مِنْ نَظَائِرِ هَذَا كَثْرَةً وَذِيوعًا ، ثُمَّ إِذَا
 صَارُوا إِلَى مَا أَوَّلَهُ هَمْزَةٌ وَصَلٍ قَالُوا : « فِي لِابْتِدَاءِ » بِإِثْبَاتِ السَّاكِنِ قَبْلَ (أَل) . وَهَذَا
 ثَقِيلٌ مُسْتَكْرَهُ .

وقد وجدنا العربَ تَطَرَّحُ الْعِلَّةَ الَّتِي قَدْ خَلَا فِي سُنَنِهَا الْإِعْتِدَادُ بِمِثْلِهَا ، وَبِنَاءِ

الأحكام عليها ، وذلك إذا كانت أفراد هذه العلة قليلة معدودة ، ألا تراهم احتملوا ثَقُلَ الواوِ في مُضارعِ المثالِ مِنْ : (فَعَلَ يَفْعُلُ) ، كـ (وَضُوْ يَوْضُوْ) ، و (وَسُم يَوْسُم) فلم يَحذفوها ، مع أنَّهم أبوا احتِمَالَهَا في (فَعَلَ يَفْعِلُ) ، كـ (يَعِدُ) و (يَجِدُ) ، وذلك لِقِلَّةِ أَفرادِ الأوَّلِ ، وكثرةِ أَفرادِ الثاني .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيضًا : أَنَّهُمْ يَكْسِرُونَ نُونَ (مِنْ) إِذَا وَلِيَهَا سَاكِنٌ نَحْوُ : (مِنْ ابْنِكَ) جَرِيًّا عَلَى الْأَصْلِ فِي التَّخْلُصِ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَلَكِنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ هَذَا السَّاكِنُ لَامَ (أَل) نَحْوُ : (مِنْ الْبَيْتِ) فَيَفْتَحُونَهَا . فَأَسَاغُوا ثِقَلَ تَوَالِي كَسْرَتَيْنِ فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ لِقِلَّتِهِ ، وَبَهَظَهُمْ ذَلِكَ فِي الضَّرْبِ الثَّانِي لكَثْرَتِهِ وَذُيُوعِهِ ، فَفَرُّوا مِنْهُ إِلَى الْفَتْحِ .

وَمِنْ أَجْلِ الْقِلَّةِ أَيضًا : شَحُّوا عَلَى الْأَسْمِ الْخُمَاسِيِّ بِنَاءً تَصْغِيرٍ مَخْصُوصٍ بِهِ ، وَأَلْحَقُوهُ بِالرُّبَاعِيِّ ، وَكَانَ حَذْفُ حَرْفٍ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَصْلِيًّا - آثَرَ عِنْدَهُمْ ، وَأَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ افْتِرَاعِ بِنَاءٍ مُسْتَقِلٍّ لَهُ ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ الْمُسْتَعْمَلِ مِنْهُ .

وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَجْعَلُونَ الْقَلِيلَ بِمَعْنَى الْمَعْدُومِ ، وَيُوقِعُونَهُ مَوْقِعَهُ كَمَا قَالَ تَابَّطُ

شَرًّا :

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

لا يريد أنه يتشكى أحياناً ، وإنما يريد نفي تشكيه البتة .

وكأنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ فِي الْإِثْبَاتِ جَاءُوا بِلَفْظِ (كَثِيرٍ) تَوَهَّمُوا أَنَّ مَا يُقَابِلُهُ مِنَ اللَّفْظِ ، وَهُوَ (قَلِيلٌ) ، يُفِيدُ ضِدَّ هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي النَّفْيِ ، كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتْقَابِلَةِ ، كـ (الْعَظِيمِ وَالْحَقِيرِ) ، وَ (الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ) ، وَنَحْوِهَا . وَمَدَّهُمْ فِي هَذَا الْوَهْمِ قُرْبُ مَا بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْمَعْدُومِ فِي الْمَعْنَى .

وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي ، وَهُوَ اعْتِدَادُ اللَّامِ مُتَحَرِّكَةً : فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ حَمْلُهُ عَلَى نَظِيرِهِ ، وَهُوَ مَا كَانَتْ حَرَكَةُ اللَّامِ فِيهِ لِلنَّقْلِ كـ (الْآنَ) ، وَ (الرِّضَى) . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنفَاءً أَنَّ الْعَرَبَ يُرَاعُونَ فِيهِ الْأَصَالََةَ وَالْعُرُوضَ . وَمِنْ شَوَاهِدِ مُرَاعَاةِ الْعُرُوضِ قَوْلُ عَنَتْرَةَ :

وَقَدْ كُنْتُ تُخْفِي حُبَّ سَمَرَاءَ حِقْبَةً فُبُحْ لَانَ مِنْهَا بِالَّذِي أَنْتَ بَائِحُ

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِدَادَ بِالْعَارِضِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قِيَاسًا مُطَرِّدًا وَسُنَّةً مُتَّبَعَةً فَإِنَّ الْعَرَبَ مِمَّا يَحْفَلُونَ بِهِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ ، كَمَا قَالُوا فِي (رُؤْيَا) مُحْفَفٍ (رُؤْيَا) : (رُيًّا) ،

كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي مُرَاعَاةِ الْأَصْلِ مَشَقَّةً وَعَنَتًا ، وَمُحَافَظَةً وَجُودًا ، فَأَثَرُوا النَّظَرَ إِلَى الْحَالِ عَلَى تَكْلُفٍ مُلَاحِظَةِ الْمَالِ . وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ حَسَنٌ ، إِلَّا أَنَّ الْاعْتِدَادَ بِالْأَصْلِ هُوَ الْكَثِيرُ الْغَالِبُ ، وَالسَّائِرُ الْمُنْقَادُ . وَلَوْلَا أَنَا سَمِعْنَا اعْتِدَادَهُمْ بِالْعَارِضِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَفِي نَظِيرِهَا لَمَا جَازَ لَنَا الْقِيَاسُ عَلَيْهِ .

فَقَدْ ظَهَرَ إِذْنُ جَوَازِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِشَهَادَةِ السَّمْعِ وَالْقِيَاسِ . وَأَعْلَى الْوَجْهَيْنِ وَأَفْصَحُهُمَا هُوَ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ لَمَا بَيَّنْتُ لَكَ .



قَرَّظَتِ الْأُسْتَاذَةُ عَائِشَةُ الْمَقَالَةَ شِعْرًا ، فَقَالَتْ :

لِلَّهِ دُرٌّ مَقَالَةٌ	فِيهَا الْبَرَاءَةُ ظَاهِرَةٌ
مَا خَلَّتْهَا مِنْ حُسْنِهَا	إِلَّا رِيَاضًا نَاصِرَةً
قَدْ خَطَّ فِيهَا (فَيَصِلُ)	دُرًّا حَسَنًا بَاهِرَةً
وَأَتَى بِقَوْلٍ فَيَصِلُ	فَشَفَى النُّفُوسَ الْحَائِرَةَ



من حلقة البلاغة والنقد

شذرات من كتاب : التبيان في

أقسام القرآن

لابن قيم الجوزية (٣)

عائشة

شذرات من كتاب : التبيان في

أقسام القرآن

لابن قيم الجوزية (٣)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أمّا بعدُ : فهذه شذرات التقطتها من كتاب (التبيان في أقسام القرآن) ، للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها .



المناسبة بين المُقسَم به والمُقسَم عليه في سورة الواقعة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وعلى هذا : فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم ، وبين المُقسَم عليه - وهو القرآن - من وجوه :

- أحدها : أنَّ النجوم جعلها الله يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والغبي ؛ فتلك هداية في الظلمات الحسية ، وآيات

- القرآن في الظلمات المعنوية ؛ فجمع بين الهديتين .
- مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين ، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن .
- والنجوم آياته : المشهودة المعينة ، والقرآن آياته : المتلوة السمعية .
- مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة ، والدلالة على آياته القرآنية ، ومواقعها عند النزول « اهـ



حُسن الاعتراض

- قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « والمقسم عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ، ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله تعالى : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض اللفظي شيء ، وأحسنه موقعاً .

وأحسن ما يقع الاعتراض إذا تضمن تأكيداً ، أو تنبيهاً ، أو احترازاً ؛ كقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ؛ فاعترض بين المبتدئ والخبر بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ؛ لما تضمنه ذلك من الاحتراز الرفع لتوهم متوهم أن الوعد إنما يستحقه من أتى بجميع الصالحات ؛ فرفع ذلك بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . وهذا أحسن من قول من قال : إنه أخبر عن (الَّذِينَ آمَنُوا) ، ثم أخبر عنهم بخبر آخر ؛ فهما خبران عن مخبر واحد ؛ فإن عدم التكليف فوق الوسع لا يخص الذين آمنوا ، بل هو حكم شامل لجميع الخلق ، مع ما في هذا التقدير من إخلاء جملة الخبر عن الرابط ، وتقدير صفة محذوفة ؛ أي : نفسا منهم ، وتعطيل هذه الفائدة الجليلة « اهـ

ثم قال رحمه الله تعالى : « فتأمل حسن الاعتراض وجزالته في قول الرب تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ ؛ فقله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾ : اعتراض بين الشرط وجوابه أفاد أمورا :

- منها : الجواب عن سؤال سائل : ما حكمة هذا التبديل ؟ وما فائدته ؟
- ومنها : أن الذي بدّل وأتي بغيره : مُنَزَّلٌ مُحْكَمٌ نزوله قبل الإخبار بقولهم .
- ومنها : أن مصدر الأمرين عن علمه تبارك وتعالى ، وأن كلاً منهما مُنَزَّلٌ ؛ فيجب التسليم والإيمان بالأول والثاني .

وَمِنَ الْإِعْتِرَاضِ الَّذِي هُوَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْحُسْنِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ؛ فاعترض بذكر شأن حملِه ووضعِه بين الوصيَّة والموصى به ؛ توكيدًا لأمر الوصيَّة بالوالدة التي هذا شأنها ، وتذكيرًا لولدها بحققها ، وما قاسته من حملِه ووضعِه مما لم يتكلفه الأب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا ؛ فاعترض بقوله : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ بين الجمل المعطوف بعضها على بعض ؛ إعلامًا بأن تدارؤهم وتدافعهم في شأن القتل ليس نافعًا لهم في كتمانهم ؛ فالله يُظهره ولا بُدَّ .

ولا تستطِلُّ هذا الفصل وأمثاله ؛ فإنه يُعطيك ميزانًا ، وينهج لك طريقًا يُعينك على فهم الكتاب ، والله المستعان « اهـ



قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ : (وَمَا يَنْطِقُ بِالْهَوَى)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وقال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ :

(وما ينطق بالهوى) ؛ لأنَّ نُطْقَهُ عَنِ الْهَوَى أَبْلَغُ ؛ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّ نُطْقَهُ لَا يَصْدُرُ عَنِ هَوَى ، وَإِذَا لَمْ يَصْدُرْ عَنِ هَوَى فَكَيْفَ يَنْطِقُ بِهِ ؟ ! فَتَضَمَّنَ نَفْيَ الْأَمْرَيْنِ : نَفْيَ الْهَوَى عَنْ مَصْدَرِ النُّطْقِ ، وَنَفْيَهُ عَنِ نَفْسِهِ ؛ فَنُطْقُهُ بِالْحَقِّ ، وَمَصْدَرُهُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ، لَا الْغَيِّ وَالضَّلَالُ « اهـ



﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ مَسَافَةِ هَذَا الْقُرْبِ بِأَنَّهُ قَدَرُ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ هَذَا عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ ؛ بَلْ تَحْقِيقُ لِقَدْرِ الْمَسَافَةِ ، وَأَنَّهَا لَا تَزِيدُ عَنْ قَوْسَيْنِ الْبَتَّةَ ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ تَحْقِيقًا لِهَذَا الْعَدَدِ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَنْقُصُونَ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ رَجُلًا وَاحِدًا .

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ؛ أَيِ : لَا تَنْقُصُ قَسْوَتُهَا عَنْ قَسْوَةِ الْحِجَارَةِ ؛ بَلْ إِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى قَسْوَةِ الْحِجَارَةِ ؛ لَمْ تَكُنْ دُونَهَا .

وَهَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ وَالْطُّفُّ وَأَدَقُّ مِنْ قَوْلِ مَنْ جَعَلَ ﴿ أَوْ ﴾ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ

بمعنى (بَل) ، وَمِنْ قَوْلٍ مَنْ جَعَلَهَا لِلشَّكِّ بالنسبة إلى الرائي ، وقولٍ مَنْ جَعَلَهَا بمعنى
(الواو) ؛ فتأملهُ « اهـ



مدح النبي ﷺ في سورة النجم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « فنزه في هذه السورة علمه عن الضلال ، وقصده
وعمله عن الغي ، ونطقه عن الهوى ، وفؤاده عن تكذيب بصره ، وبصره عن الزيف
والطغيان ، وهكذا يكون المدح .

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيباً بماءٍ فعاداً بعد أبوالأ « اهـ



الاستطراء أسلوب لطيف جداً في القرآن

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ولما ذكر رؤيته لجبريل عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ؛ استطرد
منها ، وذكر أن جنة المأوى عندها ، وأنه يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى .

وهذا من أحسن الاستطراء ، وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن ، وهو نوعان :

- أحدهما : أن يستطرد من الشيء إلى لازمه ؛ مثل هذا ، ومثل قوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ، ثم استطرد من جوابهم إلى قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ ، وهذا ليس من جوابهم ؛ ولكن تقرير له ، وإقامة الحجة عليهم . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمُ يُمُوسَى ﴾ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ، فهذا جواب موسى ، ثم استطرد سبحانه منه إلى قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ، ثم عاد إلى الكلام الذي استطرد منه .

- والنوع الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى النوع ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ إلى آخره ؛ فالأول : آدم ، والثاني : بنوه .

ومثله قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴿ إلى آخر الآيات ؛ فاستطرد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولاديهما « اهـ



قال تعالى : ﴿ لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيُمُ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ : (وَلَا إِثْم)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْتِيُمُ ﴾ ، ولم يقل : (وَلَا إِثْم) ؛ أي : ليس فيها ما يحملهم على الإثم ، ولا يؤثّم بعضهم بعضًا بشرها ، ولا يؤثّمهم الله بذلك ، ولا الملائكة ؛ فلا يلغون ، ولا يأتّمون « اهـ



إلام تُشير صفة (المنشور) في قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴾ ؟

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ... وَوَصَفَهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴾ ؛ ففي ذكره (المنشور) إشارة إلى تفرّقهم في حوائج ساداتهم ،

وخدمتهم ، وذهابهم ، ومجيئهم ، وسعة المكان ؛ بحيث لا يحتاجون أن ينضم بعضهم
إلى بعض فيه لضيقه » اهـ



انتقال القسم في سورة الذاريات من السافل إلى العالي

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ومن ذلك قوله : ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا ﴾ * فَالْحُمِلَتْ
وَقُرَا * فَالْجُرِيَّتِ يُسْرَا * فَالْمُقَسَّمِتِ أَمْرًا ﴾ : أقسم بالذاريات ؛ وهي الرياح تذر
المطر ، وتذر التراب ، وتذر النبات إذا تهشم ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ
الرَّيْحُ ﴾ * ؛ أي : تُفَرِّقُه ، وتشره .

ثم بما فوقها ؛ وهي السحاب الحاملات وقرا ؛ أي : ثقلًا من الماء ، وهي روايا
الأرض ...

ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك ؛ وهي الجاريات يسرا ؛ وهي النجوم التي من
فوق الغمام ، و ﴿ يُسْرَا ﴾ ؛ أي : مُسَخَّرَةً ، مُذَلَّلَةً ، مُنْقَادَةً . وقال جماعة من المفسرين :
إنها السفن تجري ميسرة في الماء ، جريًا سهلًا ، ومنهم من لم يذكر غيره .

واختار شيخنا رحمه الله القول الأول ، وقال : هو أحسن في الترتيب ، والانتقال

من السَّافِلِ إلى العَالِي ؛ فَإِنَّهُ بَدَأَ بِالرَّيَّاحِ ، وَفَوْقَهَا السَّحَابُ ، وَفَوْقَهُ النُّجُومُ ، وَفَوْقَهَا
المَلَائِكَةُ ، الْمُقَسَّمَاتُ أَمَرَ اللَّهُ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ « اهـ



وَصَفُّ الْوَعْدِ بِكَوْنِهِ (صَادِقًا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴾ أَبْلَغُ
مِنْ وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ (صِدْقًا)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « وَوَصَفُّ الْوَعْدِ بِكَوْنِهِ (صَادِقًا) أَبْلَغُ مِنْ وَصْفِهِ
بِكَوْنِهِ (صِدْقًا) ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْلُفٍ جَعَلِهِ بِمَعْنَى : مَصْدُوقٌ فِيهِ ؛ بَلْ هُوَ صَادِقٌ
نَفْسُهُ ؛ كَمَا يُوصَفُ الْمُتَكَلِّمُ بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِي كَلَامِهِ ، فَوَصَفَ كَلَامَهُ بِأَنَّهُ صَادِقٌ ، وَهَذَا
مِثْلُ قَوْلِهِمْ : سِرٌّ كَاتِمٌ ، وَلَيْلٌ قَائِمٌ ، وَنَهَارٌ صَائِمٌ ، وَمَاءٌ دَافِقٌ ، وَمِنْهُ : عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَجَازٍ ، وَلَا مُخَالَفٍ لِمُقْتَضَى التَّرْكِيبِ » اهـ



الْفَرْقُ بَيْنَ السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَاهُونَ فِي غَمَرَتِهِمْ ، وَالسَّهْوُ :

الْغَفْلَةُ عَنِ الشَّيْءِ ، وَذَهَابُ الْقَلْبِ عَنْهُ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّسيَانِ : أَنَّ النَّسيَانَ الْغَفْلَةُ
بَعْدَ الذِّكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالسَّهْوُ لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ « اهـ



تفسير قوله تعالى : ﴿ يُفْتَنُونَ ﴾

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ استبعاداً
لِلْوُقُوعِ ، وَجَحْداً ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ .

والمشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى : يُحْرَقُونَ ؛ وَلَكِنْ لَفْظَةً (عَلَى) تُعْطَى
مَعْنَى زَائِداً عَلَى مَا ذَكَرُوهُ ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ نَفْسَ الْحَرْقِ ؛ لَقِيلَ : (يَوْمَ هُمْ فِي النَّارِ
يُفْتَنُونَ) . وَلِهَذَا : لَمَّا عَلِمَ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ ؛ قَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ : (عَلَى) بِمَعْنَى (فِي) ، كَمَا
تَكُونُ (فِي) بِمَعْنَى (عَلَى) .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِتْنَتَهُمْ عَلَى النَّارِ قَبْلَ فِتْنَتِهِمْ فِيهَا ، فَلَهُمْ عِنْدَ عَرْضِهِمْ عَلَيْهَا وَوُقُوفِهِمْ
عَلَيْهَا فِتْنَةٌ ، وَعِنْدَ دُخُولِهِمْ وَالتَّعْذِيبِ بِهَا فِتْنَةٌ أَشَدُّ مِنْهَا .

وَمَنْ جَعَلَ الْفِتْنَةَ هَهُنَا مِنَ الْحَرِيقِ ؛ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ - أَيْضاً - بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي

في الدَّاريات .

وحقيقة الأمر أَنَّ الفِتْنَةَ تُطْلَقُ عَلَى الْعَذَابِ وَسَبَبِهِ ؛ ولهذا سَمَّى اللهُ الْكُفْرَ فِتْنَةً .
فَهُمْ لَمَّا أَتَوْا بِالْفِتْنَةِ - الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا - ؛ سَمَّى جَزَاءَهُمْ فِتْنَةً ؛ ولهذا
قَالَ : ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، وَكَانَ وَقُوفُهُمْ عَلَى النَّارِ وَعَرْضُهُمْ عَلَيْهَا مِنْ أَعْظَمِ فِتْنَتِهِمْ ، وَآخِرُ
هَذِهِ الْفِتْنَةِ : دُخُولُ النَّارِ ، وَالتَّعْذِيبُ بِهَا .

فَفُتِنُوا أَوَّلًا بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، ثُمَّ فُتِنُوا بِأَرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ فُتِنُوا
بِمُخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ ، ثُمَّ فُتِنُوا بِعَذَابِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ فُتِنُوا بِعَذَابِ الْمَوْتِ ، ثُمَّ يُفْتَنُونَ فِي
مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِذَا حُشِرُوا إِلَى النَّارِ ، وَوُقِفُوا عَلَيْهَا ، وَعُرِضُوا عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ مِنْ
أَعْظَمِ فِتْنَتِهِمْ ، ثُمَّ الْفِتْنَةُ الْكُبْرَى الَّتِي أَنْسَتْهُمْ جَمِيعَ الْفِتَنِ قَبْلَهَا « اهـ



أَحْسَنُ مَا خُتِمَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ : التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : « ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَتَمِّ مَعَ صَلَاتِهِمْ بِاللَّيْلِ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ
اللهَ عِنْدَ السَّحَرِ ، فَخَتَمُوا صَلَاتَهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ، فَبَاتُوا لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ، ثُمَّ
تَابُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفَرُوهُ عَقِيبَ ذَلِكَ .

وكان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً ، وأمره الله سبحانه أن يختم عمره بالاستغفار ، وأمر عباده أن يختموا إفاضتهم من عرفات بالاستغفار ، وشرع للمتوضي أن يختم وضوءه بالتوبة . فأحسن ما ختمت به الأعمال : التوبة والاستغفار « اهـ



لطيفة

قال ابن القيم رحمه الله : « وجعل سبحانه على اللسان غلقين : أحدهما الأسنان ، والثاني الفم ، وجعل حركته اختيارية ، وجعل على العين غطاءً واحداً ، ولم يجعل على الأذن غطاءً ؛ وذلك لخطر اللسان ، وشرفه ، وخطر حركاته ، وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر ، وذلك من اللطائف ؛ فإن آفة الكلام أكثر من آفة النظر ، وآفة النظر أكثر من آفة السمع ؛ فجعل للأكثر آفات طبقتين ، وللمتوسط طبقة ، وجعل الأقل آفة بلا طبق « اهـ



إشارات

قال ابن القيم رحمه الله : « وعند أرباب الإشارات أن بكاءه إرهاص بين يدي ما

يُلاقِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ ، وَالْآلَامِ ، وَالْمَخَافِ ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ :

وَيُبْكِي بِهَا الْمَوْلُودُ حَتَّى كَانَهُ بِكُلِّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا يُهْدَدُ
وَالْأَفْئِدَةُ فِيهَا وَإِنَّهَا لِأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ !؟

وَلَهُمْ نَظِيرُ هَذِهِ الْإِشَارَةِ فِي قَبْضِ كَفِّهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَفِي فَتْحِهَا عِنْدَ
خُرُوجِهِ مِنْهَا ، وَهُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهَا مُرَكَّبًا عَلَى الْحَرْصِ ، وَالطَّمَعِ ، وَفَارَقَهَا
صِفْرَ الْيَدَيْنِ مِنْهَا ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ :

وَفِي قَبْضِ كَفِّ الْمَرْءِ عِنْدَ وِلَادِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَرْصِ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
وَفِي فَتْحِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى فُرْقَةِ الْمَالِ الَّذِي هُوَ تَارِكُهُ

وَلَهُمْ نَظِيرُ هَذِهِ الْإِشَارَةِ فِي بَكَاءِ الطِّفْلِ ، وَضَحِكِ مَنْ حَوْلَهُ : أَنَّ الْأَمْرَ سَيَبْدُلُ ،
وَيَصِيرُ إِلَى مَا يُبْكِي مَنْ حَوْلَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، كَمَا ضَحِكُوا عِنْدَ وِلَادَتِهِ ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ :

وَلَدَتْكَ إِذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُورًا
فَاعْمَلْ لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْإِشَارَةِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْمَوْلُودَ حِينَ يَنْفَصِلُ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى فِيهِ ؛ إِشَارَةً
إِلَى تَعْجِيلِ نَزْلِهِ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ ضَيْفٌ وَمِنْ تَمَامِ إِكْرَامِهِ : تَعْجِيلِ قِرَائِهِ ؛ فَأَشَارَ

بِلِسَانِ الْحَالِ إِلَى تَرْكِ التَّأخِيرِ . وَرُبَّمَا مَصَّ أَصْبَعَهُ ؛ إِشَارَةً إِلَى نِهَايَةِ فَقْرِهِ ، وَأَنَّهُ بَلَغَ مِنْهُ إِلَى مَصِّ الْأَصَابِعِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ لِمَنْ بَلَغَ بِهِ الْفَقْرُ غَايَتَهُ : هُوَ يَمَصُّ أَصَابِعَهُ ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ :

وَيَهْوِي إِلَى فِيهِ يَمَصُّ بَنَانَهُ يُطَالِبُ بِالتَّعَجِيلِ خَوْفَ التَّشَاغُلِ
وَيُعْلِمُهُمْ أَنِّي فَقِيرٌ وَلَيْسَ لِي مِنْ الْقُوَّةِ شَيْءٌ غَيْرَ مَصِّ الْأَنَامِلِ

ونظيرُ هذه الإشارةِ أَنَّهُ يَضْحَكُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَتَعَقَّلُ نَفْسَهُ النَّاطِقَةَ وَيُدْرِكُهَا ، وَفِي ذَلِكَ قِصَاصٌ مِنَ الْبُكَاءِ الَّذِي أَصَابَهُ عِنْدَ وَلَادَتِهِ . وَتَأَخَّرَ بَعْدَهُ ؛ لَكِي يَتَأَسَّى الْعَبْدُ إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ ؛ فَالْفَرْجُ يَأْتِي فِي أَثَرِهَا :

وَيَضْحَكُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ إِشَارَةً إِلَى فَرْجٍ وَافَاهُ بَعْدَ الشَّدَائِدِ
يَقُولُ : هِيَ الدُّنْيَا فَتُبْكِيكَ مَرَّةً وَتَضْحَكُ أُخْرَى فَاصْطَبِرْ لِلْعَوَائِدِ

قالوا : وَيَرَى الْأَمَانِي بَعْدَ سِتِّينَ يَوْمًا مِّنْ وَلَادَتِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ يَنْسَاهَا لِضَعْفِ الْقُوَّةِ الْحَافِظَةِ ، وَكَثْرَةِ الرُّطُوبَاتِ ، وَفِي ذَلِكَ لُطْفٌ بِهِ أَيُّضًا ؛ لِضَعْفِ قَلْبِهِ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيمَا يَرَاهُ :

وَيَرَى بَعَيْنِ الْقَلْبِ إِذْ يَأْتِي لَهُ سِتُّونَ يَوْمًا رُؤْيَا الْأَحْلَامِ

لكنّه ينساه بعدُ لضعفه عن ضبطه في يقظةٍ ومنامٍ اهـ



القلبُ والفؤادُ

قال ابن القيم رحمه الله : « والفؤاد - عند أهل اللغة - هو : القلب ؛ قال الجوهري : الفؤاد : القلب ، وقال الأصمعي : وفي الجوفِ الفؤاد ؛ وهو : القلب .

وقد فرّق بعض أهل اللغة بين القلبِ والفؤادِ ؛ فقال الليث : القلبُ مُضَغَةٌ مِنَ الفؤادِ ، مُعَلَّقَةٌ بِالنَّيَاطِ ، وقالت طائفةٌ : مُسْتَدِيقُ القلبِ .

وقال النبي ﷺ : « جاءكم أهلُ اليَمَنِ ، همُ أرقُّ قُلُوبًا ، وألينُ أفئدةً » ؛ ففرّق بينهما ، ووصف القلبَ بالرِّقَّةِ ، والأفئدةَ باللينِ .

وأما كونُ فمِ المعدةِ هو الفؤاد ؛ فهذا لا نعلمُ أحدًا من أهلِ اللغةِ قاله .

وتأمل وصفَ النبي ﷺ القلبَ بالرِّقَّةِ ؛ التي هي ضدُّ القساوةِ والغلظةِ ، والفؤادُ باللينِ ؛ الذي هو ضدُّ اليُبْسِ والقَسْوَةِ ، فإذا اجتمعَ لِنُ الفؤادِ إلى رِقَّةِ القلبِ ؛ حصلَ من ذلك الرَّحْمَةُ ، وَالشَّفَقَةُ ، وَالإِحْسَانُ ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ ، وَقَبُولُهُ ؛ فَإِنَّ اللَّيْنَ مُوجِبٌ

للقبول والفهم ، والرقّة تقتضي الرحمة والشفقة ، وهذا هو العلم والرحمة ، وبها كمال الإنسان ، وربنا وسع كل شيء رحمة وعلما « اهـ



السّر في تكرار التقدير دون التفكير ، وذمه دونه

قال ابن القيم رحمه الله : « قال تعالى عن الوحيد : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * .

فكرّر سبحانه التقدير دون التفكير ، وذمه عليه دونه ... فإنه بالفكر طالب لإستخراج المجهول ، وذلك غير مذموم ، فلما استخرجه ؛ قدر له تقديرين : تقديرًا كليًا ، وتقديرًا جزئيًا ؛ فالتقدير الكلي : أن السّاحر هو الذي يفرّق بين المرء وزوجه ، والتقدير الجزئي : أن الذي يفرّق بين المرء وزوجه مذموم ؛ فهنا تقدير بعد تقدير ؛ فلهذا كرّره سبحانه ، وذمه عليه . وأمّا التفكير ؛ فإنّ المفكر طالب لمعرفة الشيء ؛ فلا يذم ، بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله إلى تحقيق الباطل ، وإبطال الحق ؛ فتأملّه « اهـ



لِمَ خَصَّ (المَشَارِقَ) بِالذِّكْرِ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ؟

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَخَصَّ الْمَشَارِقَ - ههنا - بِالذِّكْرِ : إِمَّا لِدَلَالِهَا عَلَى الْمَغَارِبِ ؛ إِذَا الْأَمْرَانِ الْمُتَضَايِفَانِ كُلُّ مِّنْهُمَا يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ ، وَإِمَّا لَكُونَ الْمَشَارِقِ مَطَالَعِ الْكَوَاكِبِ ، وَمُظَاهَرِ الْأَنْوَارِ ، وَإِمَّا تَوَاطُؤَهُ لِمَا ذَكَرَ بَعْدَهَا مِنْ تَزْيِينِ السَّمَاءِ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَجَعَلَهَا حِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ؛ فَذَكَرُ الْمَشَارِقِ أَنْسَبُ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَأَلْيَقُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ » اهـ



وبهذا نَصِلُ إِلَى نِهَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ ؛ الَّذِي صَحَّبْنَا فِيهِ هَذِهِ الشَّذَرَاتِ ، وَاللَّطَائِفَ ، وَالْفَرَائِدَ الْمُخْتَارَةَ مِنْ كِتَابِ (التَّبْيَانِ فِي أَقْسَامِ الْقُرْآنِ) ، لِمَوْلَانِ الْإِمَامِ ابْنِ قَيِّمِ الْجُوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَجَزَاءُ خَيْرًا ، وَنَفْعَ بَعْلُومِهِ ، وَهُوَ كِتَابٌ نَّافِعٌ مَّاتَعٌ مُّسْتَطَابٌ ، نَنْصَحُ بِقِرَاءَتِهِ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ ، وَسَلَّم . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



من حلقة العروض والإهداء

أرجوزة

نكترة الإهداء

حميد الحمادي

أرجوزة تذكرة الإملاء

أَحْمَدُ رَبِّي مُرْدَفُ الصَّلَاةِ

عَلَى النَّبِيِّ سَيِّدِ الْهُدَاةِ

وهذه أرجوزة في الرسم

أودعناها أساس هذا العلم

سميتها (تذكرة الإملاء)

مستوكفاً إفضال ذي الآلاء



الهمزة أول الكلمة

الْهَمْزُ دَائِمًا بِرَسْمِ الْأَلِفِ

وَصَلًّا وَقَطْعًا كَ : اَمْتَطَى وَأَحْتَفَى

فَضَبْطُهُ مُيَسَّرٌ فِي الْأَوَّلِ

وَلَا يَضِيرُ سَبْقُهُ بِمَا يَلِي :

وَأُوْ وَفَا لَامُ ابْتِدَاءٍ وَقَسَمِ

وَالْهَمْزُ بَعْدَ الْفَتْحِ لِلْمُسْتَفْهِمِ

وَالسَّيْنُ (أَلْ) كَذَاكَ بَاءُ الْجَرِّ

وَلَامُهُ كَقَوْلِنَا : لِأَمْرِي

وَأَيْذَا لَيْنٌ لِّئَلَّا أُؤْرَى

وَنَحْوُهُ بِالْهَمْزَةِ الْوُسْطَى يُرَى



فصل : في همز الوصل

يُزَادُ فِي الْبَدَاءِ هَمْزُ الْوَصْلِ

فِي عَشْرَةِ الْأَسْمَاءِ خُذْ مَا أُمْلِي

وَذِي اسْمِ ابْنِ اسْتِ ابْنَةُ الْعُلَا

وَأَثْنَانِ وَائِمْنُ امْرِئٍ قَدْ نُقِلَا

وَامْرَأَةٌ كَذَا اثْنَتَانِ وَابْنُكُمْ

وَالْفِعْلُ جَا قِيَاسُهُ يُنْتَظَمُ

فِي كُلِّ مَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْبَعِ

وَمَصْدَرٍ نَحْوِ أَنْبِجَاسِ الْمَنْبَعِ

وَفِي ثَلَاثِي الْأَمْرِ نَحْوُ فَاغْلَمْ

وَتَسْقُطُ الْأَلِفُ إِنْ تَسْتَفْهِمُ

كَمِثْلِ : أَصْطَفَى الْبَنَاتِ ؟ أَكْتَمَلَ ؟

وَأَبْدَلْنَ وَسَهَّلْنَ فِي لَفْظِ (أَل)

الهمزة المتوسطة

إِتْقَانُ بَابِ الْهَمْزِ إِذْ يُوسَّطُ

بِحَسَبِ أَقْوَى الْحَرَكَاتِ يُضْبَطُ

فَالْكَسْرُ أَقْوَاهَا وَرَسْمًا جَاءَ

نَبْرَةً كَذَا يَجِيءُ يَاءَ

فَالضَّمُّ يَتْلُوهَا بَوَاوٍ أَلِفًا

فَالْفَتْحُ مُشْبَعًا يَصِيرُ أَلِفًا

فَانْظُرْ لِرِسْمِهَا - وَهَذَا سَهْلٌ -

حَرَكَةُ الْهَمْزِ وَحَرْفِ قَبْلُ

فَالْحَقُّ لِلْقَوِيِّ شَرَعَةً لَهُمْ

وَضَرْبُنَا الْمَثَالَ يُفْهِمُ الْكَلِمَ :

يَوْمٌ فَتَحَ قَدْ تَلِي بِضَمٍّ

وَالضَّمُّ أَقْوَى فَاتَّبِعْ تَوْمً

وَشَدَّ بَعْدَ أَلِفٍ فِي السَّطْرِ

ك: بَاءٌ قِرَاءَةٌ فِي السَّفْرِ

وَبَعْدَ يَاءٍ سَاكِنٍ عَلَى التَّيْرِ

ك: هَيْئَةٌ مَجِيئُهُ لِمَنْ خَبِرَ

وَفِي الْمُتَى لِلْمِثَالِ : يَسْأَلَانِ

وَمَلْجَانِ مُنْشِئَانِ يَوْضَوَانِ

وَوَا وَفَا فِي افْتَعَلَا ك: انْزَرَا

تَرْسُمَهَا مَقْطُوعَةً : فَأُتْزَرَا

لَكِنَّهُ مُمْتَنِعٌ فِي ائْتَلَفَا

وَنَحْوِهِ لِلْبُسْهِ بِأُتْلَفَا



الهمزة المتطرفة

إذا تطرقت وقبلها سَكَنُ

في السَّطْرِ تُكْتَبُ ك: شَيْءٍ فاعْلَمَنَّ

وغيرها تكتبها من مثَلِ

حَرَكَه قُبَيْلَهَا فِي الشَّكْلِ

نَحْوُ بَدَأْ تَبَوَّؤْ مُهَيَّأْ

وَسَيَّئْ وَلَوْلُؤْ تَلَالُؤْ



الألف اللينة

وَأَلْفٌ مِنْ حَرَكَاتٍ تَعْرَا

لَيِّنَةٌ تُدْعَى كَمِثْلِ شَبْرَا

قِسْمَانِ جَاءَتْ قِصْرُهَا وَالْمَدُّ

وَالْأَعْجَمِيُّ كُلُّهُ يُمَدُّ

عِدَا بُخَارَى ثُمَّ مَتَّى كِسْرَى

عَيْسَى وَمُوسَى وَكَذَا كَثْرَى

وَحُمْسَةٌ قَدْ قُصِرَتْ مَعَ الْبِنَا

أَنْتَى مَتَّى عَلَى بَلَى كَذَا أُوْلَى

فِي اسْمٍ ثَلَاثِيٍّ عَنِ الْوَارِ قُلِبَ

فَامْدُدْ ، وَغَيْرُهُ بِيَاءٍ اكْتُتِبَ

وَإِنْ تَلَا الْأَلْفُ يَاءً فَامْدُدَا

وَالْقَصْرُ فِي عِلْمٍ يَحْيَى وَرَدَا

وإن تُردَّ معرفة الأصول

فإنَّ واجمَع تحطَّ بالوصول

والفعل حتماً لِاسمِهِ مضارعُ

وأصله يُبينهُ المضارعُ

وَكَرِهُوا تَوَالِي الأمثالِ

في فعلٍ يَحْيَا فَاتَّبِعْ مَقَالِي



هاء التأنيث وتاؤه

والهاء وَقْفُهَا لِمَنْ دَرَى سِمَهُ

فِي مُفْرَدٍ مُؤَنَّثٍ كَ: مُسْلِمُهُ

وَجَمْعٍ كَسِرٍ كَ: قُضَاةٍ وَسُعَاةٍ

وَالْتَاءُ وَقْفُهَا بِتَاءٍ فَلَا اشْتِبَاهُ

وَقُلْ لَّعَلَّتْ لَاتَ رَبَّتْ وَالْأَخِيرُ

تُمْتُ، وَظَرْفٌ: ثَمَّةَ الرَّشَا يَسِيرُ



الحروف التي تُزاد

وَأَلْفًا فِي مَائَةٍ قَدْ رَسَمُوا

وَحَذَفُهَا فِي عَصْرِنَا مُقَدَّمٌ

وَأُلْحِقْتُ فَارِقَةً بِالْفَعْلِ

كَ: عَلِمُوا لَنْ يُرْفَعُوا بِالْجَهْلِ

وَفِي الْقَرِيضِ مُدَّهَا إِطْلَاقًا

كَ: فَازَ عَبْدٌ لَأَزَمَ الْأُورَاقَا

وَالْوَاوُ زِيدَتْ فِي: أُولَاءٍ وَأُولَى

أُولُو أُولِي أُولاتُ عِنْدَ مَنْ خَلَا

كَذَاكَ فِي عَمْرٍو بَعِيرٍ نَصَبِ

لِمَيِّزِهِ عَنْ عُمَرٍ فِي الْكُتُبِ



الحروف التي تُنقص

وفي : ابنِ ابنةٍ تُزيلُ الألفَيْنِ

إنْ وُجِدَا في الحِطِّ يَنْ عَلَمَيْنِ

كذاك (أَل) إنْ لُفَّ باللامينِ

وَأَلِفَا في حَوِ لِلْعَامَيْنِ

وَأَلِفٌ حُذِفَ في وَيُلَمَّا

وَوَاوُ دَاوُدَ ، وَوُنُ عَمَّا

مِمَّا ، وَقَدْ وَفَى مَرَامُ النَّظْمِ

والحمدُ لله جَمَالُ الخَتْمِ



من حلقه فقه اللغة ومعانيها

في علم

منز اللغة

والمعجمات اللغوية

أبو الليث الشيراني

في علم

متن اللغة والمعجمات اللغوية

أحمدُ ربِّي دائماً أبداً ، له الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهه ، وعظيمِ سلطانه ، له الحمدُ حتَّى يَرْضَى ، وله الحمدُ إذا رَضِيَ ، وله الحمدُ بعدَ الرِّضَى . وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدهُ ورسوله ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، أمَّا بعدُ :

فهذه نظرةٌ عَجَلَى على بابٍ مِّنْ أبوابِ العلمِ ، قد انتدبني للكتابة فيه بعضُ مَنْ أُحِبُّ ؛ لِمَا رآه مِنْ تَأْيِي طلبَةِ العلمِ عَمَّا كُتِبَ ؛ لخصوصيةِ جملةٍ مِّنِ التَّأليفاتِ فيه ، فلا يطلُّعُ عليها غيرُ المتخصِّصِ غالباً ، وسأضعُ في هذه النظرةِ معالمَ منهجيةٍ ، تُبَصِّرُ الدَّارِسَ والرَّاغِبَ ؛ ليتعرَّفَ حدودَ علمِ (متنِ اللُّغةِ) من حيثِ التَّصنيفِ والتَّأليفِ ؛ ويكونُ على ذِكْرِ مَنِّها إن رَامَ دراسةَ بعضِ مسائله ، ولكيلا يخوضَ فيه إلاَّ عن فَهْمٍ ومعرفةٍ ، على أنَّني سأكتفي بالإشارةِ في كثيرٍ مِّنِ المواطنِ ، اعتماداً على فِطنةِ القارئِ ،

ولا أذكر من الكتب إلا ما هو مطبوع في الغالب .



فأقول - مستعيناً بالله - :

درس الأئمة رحمهم الله متن اللغة دراسةً بالغةً ؛ بُغيةً حفظ العربية التي بها يُصان فهم الوحيين ، وقد أوعبوا في هذا العلم إيعاباً ، ودَوَّنوا فيه الكتب العظيمة على شظف العيش ، وعُسِر الحال ، وكان لإكثارهم في هذا الباب أسبابٌ مختلفةٌ منها ما يتعلق بطبيعة العربية ؛ لما تشتمل عليه من : اتساع ودقةٍ مُتناهين ، ولم تحظ لغةٌ في التاريخ ما حظيت به العربية في هذا .

ومع كثرة ما ألفوه لم يظهر منهم تصنيفٌ لِمَا صنّفوه ، وترتيبٌ لِمَا وضعوه يُؤطره في أطرٍ عامّةٍ تُعرّف الطالب مسالك هذا العلم ومداخله ومخارجَه ومدارجَه ، وتلمّ شمل ما تفرّق وظهر أنّه مُتباينٌ ، حتّى أظّل العصر الحديث ، فقام بعض الدارسين للعربية وأظهر هذه التقسيمات ، فكان نفعها عميماً .

وكان أوّل ظهورٍ لهذه التقسيمات عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ، حين طُبِع كتابُ (الصّاح) للجوهريّ ، بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، فقد أشار

إلى المدارس المعجمية في مقدمة تحقيقه ، وزعم أنه السابق إليها ، وفي العام نفسه طُبعت رسالة الدكتور حسين نصار (المعجم العربي : نشأته وتطوره) مُبدياً تلك المدارس ، زاعماً أنه السابق إليها ، وبين عمله وعمل الأستاذ عطار فروق طفيفة ! ثم تتابع التأليف في هذا ، وقُررت هذه المباحث بجعلها مادة علمية في كليات اللغة العربية بالجامعات بعد ذلك .

ولم تخل تلك البحوث والأعمال من استدراكات ونقدات ، وتمهيد وتثقيب ، إِمَّا لضعف الاستقراء ، أو عدم وضوح بعض مناهج الكتب المؤلفة في علم (متن اللغة) .



وتجيء هذه النظرة لتسد شيئاً من هذا ، وتصحح ما علق في أذهان الطلبة وغيرهم .

- فقد جاءت كتب علم (متن اللغة) على أنواع ومدارس ، فالأنواع ستة :

١ . معجمات الموضوعات والمعاني .

٢ . معجمات الألفاظ .

٣ . معجمات الأبنية .

٤. كتبُ المُسلسلِ ، والمُشجَّرِ ، والمُتداخِلِ ، والمُدَاخِلِ .

٥. كتبُ المثلثِ اللُّغويِّ .

٦. كتبُ مُصطلحاتِ وكلماتِ النَّاسِ .

• والمدارسُ ثلاثةٌ :

١. المدرسةُ الصَّوتِيَّةُ .

٢. مدرسةُ القافيةِ .

٣. المدرسةُ الألفبائيَّةُ .

وهذا أو أن التَّفصيلِ في ما سبقَ ذكره .



*** أولاً : أنواعُ المعجماتِ :**

١. مُعجماتُ الموضوعاتِ والمعاني :

والمقصودُ : تلكَ الكتبُ المؤلَّفةُ في موضوعٍ واحدٍ ، أو معانٍ محدَّدةٍ ، زمنَ بدءِ التَّدوينِ اللُّغويِّ فما بعده ، وتسميَّةُ كلِّ هذه الكتبِ بالمعاجمِ فيها تجوُّزٌ كبيرٌ ، فغالبُ كتبِ المتقدمينَ لم يكن هُمَّها شرحَ الغريبِ ، بل جَمَعَ مادَّةً لُغويَّةً ، والكتبُ المؤلَّفةُ في

هذا النوع كثيرة .

- فمنها ما يتعلّق بالإنسان ، وأوصافه ، وأسماء أعضائه ، مثل : (خلق الإنسان) للأصمعيّ ، و (خلق الإنسان) لأبي محمّد ثابت الكوفيّ ، و (خلق الإنسان) للزّجاج ، و (خلق الإنسان) ، و (استعارة أعضاء الإنسان) لابن فارس ، وأرجوزة (نظم الجثمان في حلى الإنسان) لتاج الدّين ابن يحيى البلديّ الموصليّ في (٣٣٧) بيتاً - منها نسخة بالظّاهريّة - .

- ومنها ما يتعلّق بالخيّل ، مثل : (خلق الفرس) لابن الأعرابيّ ، و (الخيل) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، و (الخيل) للأصمعيّ .

- ومنها ما يتعلّق بالإبل ، مثل : (الإبل) للأصمعيّ .

- ومنها ما يتعلّق بالوحوش ، ك : (كتاب الوحوش) لقطرب ، والأصمعيّ .

- ومنها ما يتعلّق بالحشرات ، ك : (كتاب الحشرات) لأبي خيرة الأعرابيّ - وهو مفقودٌ - .

- ومنها كتبُ الحياتِ والعقاربِ ، وكتبُ الطّير ، وكتبُ الفرق المدوّنة في الألفاظ التي سُمّيت بها الأعضاء المشتركة بين الإنسان والحيوان .

- ومنها كتبُ النّباتِ ، ك : (كتاب النّبات) للأصمعيّ ، وأبي حنيفة الدّينوريّ ، وكتبُ النّخلِ ، والزّرع ، والكرم ، والعُشب ، والرّياحين .

- ومنها كتبُ الأنواءِ والمطرِ ، والآيَّامِ واللَّيالي ، واللَّيْلِ والنَّهار ، والشَّمْسِ والقمرِ ، والرَّيَّاحِ والهواءِ والنَّارِ .
- ومنها كتبُ الأمكنةِ والدَّاراتِ ، والمياهِ والجبالِ .
- ومنها كتبُ عُدَّةِ الحربِ ، ككتبِ السَّلاحِ ، واللَّجَامِ ، والسُّيُوفِ ، والرَّماحِ ، والدُّروعِ والتُّروسِ ، والقِسيِّ والنِّبالِ .
- ومنها كتبُ رحلِ البيتِ ، ككتبِ الرحلِ والقتبِ ، وكتب : البئرِ والدَّلْوِ ، واللَّبنِ والتَّمْرِ ، إلى غيرِ ذلك .

ومن الكتبِ الجامعةِ لموضوعاتٍ عدَّةٍ :

- (الألفاظُ) لابنِ السَّكِّيتِ ، و (نسيْمُ السَّحَرِ) و (فقهُ اللُّغةِ) للثَّعالبيِّ ، و (المخصَّصُ) لابنِ سيِّده ، الَّذي يُعدُّ من أوعاها .
- ويدخلُ في هذا النِّوعِ : كتبُ المذكَرِ والمؤنَّثِ ، وكتبُ القلبِ والإبدالِ ، والتَّعاقبِ والإتباعِ ، وكتبُ التَّرادُفِ ، ومنها : (ما اختلفَ لفظُهُ واتَّفَقَ معناهُ) ، و (الغرائزُ) ، و (الغادةُ في أسماءِ العادةِ) ، و (ترقيقُ الأسَلِ لتصفيقِ العسلِ) ، و (أسماءُ الخمرِ) ، و (أسماءُ الفضةِ والذهبِ) ،
- والكتبُ المؤلَّفةُ في الفروقِ ك : (الفُروقِ) لأبي هلالٍ العسكريِّ ، وكتبُ أسماءِ

الحيوانات ، ومُخْتَلَفِ الأشياء ، وكتبِ الأضدادِ .

- ويدخلُ كذلك : كتبُ لغاتِ العربِ ، وغريبِ القرآنِ ، وغريبِ الحديثِ .
- ويدخلُ كذلك : كتبُ التَّلحينِ والتَّخْطئةِ ، كـ (لحنِ العوامِّ) لأبي بكرِ الزُّبيديِّ ، و (دُرَّةُ الغَوَاصِ) للحريريِّ ، و (بحرِ العوامِّ فيما أصابَ فيه العوامِّ) لابنِ الحنبلِ .
- ويدخلُ فيها كذلك : كتبُ الاشتقاقِ ، كـ (الاشتقاقِ) لابنِ دُرَيْدٍ ، و (مقاييسِ اللُّغةِ) لابنِ فارسٍ - وهو ليسَ مُعْجَمًا - ، وكتبِ المُعَرَّبِ والدَّخِيلِ ، وهو بابٌ واسعٌ .

٢. ثانيًا : مُعْجَمَاتُ الألفاظِ :

والمقصودُ : تلكَ الكتبُ الَّتِي عُنيَتْ بالألفاظِ الغريبةِ وغيرها ، وجمَعَتْ ما يتعلَّقُ بها في مكانٍ واحدٍ ، وعلى هذا غالبُ كتبِ المعجماتِ الَّتِي يعرفُها طلبَةُ العلمِ ، بدءًا بكتابِ (العينِ) ، وانتهاءً بالكتبِ الحديثةِ في هذا البابِ ، ولها مدارسُ مختلفةٌ في التَّرتيبِ ستأتي في العُنْصَرِ الثَّاني .

٣. ثالثًا : مُعْجَمَاتُ الأبنيةِ :

والمقصودُ : تلكَ الكتبُ الَّتِي عُنيَتْ بالأبنيةِ العربيَّةِ ، وجمَعَتْ ما يتعلَّقُ بها في

أبوابٍ وكتبٍ من حيث السَّمْعُ ، وقد أَلَفَ الدكتورُ أحمدُ مُحْتارُ عمر كتابًا يبيِّنُ فيه مدارسَ هذه المعاجمِ ومناهجَها .

ومن الكتبِ التي تدرجُ تحتَ هذا البابِ : (ليسَ في كلامِ العربِ) لابنِ خالويه ، و(ديوانُ الأدبِ) لأبي إبراهيم الفارابيِّ - وهو من أجلِّ الكتبِ ، حتَّى قيلَ : « إنَّ أبا العلاءِ المعرِّيَّ كانَ يحفظُهُ عن ظهرِ قلبٍ » - ، و(أبنيةُ الأسماءِ والأفعالِ) لأبي بكرِ الزُّبيديِّ ، و(الأبنيةُ) لابنِ القطَّاعِ ، و(شمسُ العلومِ وشفاءُ كلامِ العربِ من الكلومِ) لأبي سعيدِ نَشَوَانَ بنِ سعيدِ الحِميريِّ - وهو كتابٌ عظيمٌ - ، وكتبُ (المصادرِ) ، و(الجمعِ) ، و(التَّشْيِيعِ) ، وكتبُ (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ) ، وكتبُ (المقصورِ والممدودِ) .

٤. رابعًا : كتبُ المُشَجَّرِ ، والمُسَلَّسِ ، والمُدَاخِلِ ، والمُتَدَاخِلِ :

وهذه الكتبُ لطيفةُ التَّأليفِ ، ظريفةُ الوضعِ ، ولعلَّ الدَّافِعَ إلى كتابتِها بيانُ سعةِ العربيَّةِ ، وتيسيرُ حفظِ مُفرداتِ متنِ اللُّغةِ بهذه الطَّريقةِ المترابطةِ .

ودونك مثلاً واحداً قبلَ سردِ بعضِ الكتبِ ؛ لتقفَ على طبيعتها فهي تبدأُ بكلمةٍ واحدةٍ تكونُ مفتاحاً لما بعدها ، ثم يُفسَّرُ معناها بكلمةٍ بعدها ، إلى أن يُعْلَقَ البابُ ، ويُبدَأُ بكلمةٍ أخرى ، وهَلُمَّ جَرًّا ، مثلُ : « الأوبُ : الرَّجْعُ ، والرَّجْعُ : المطرُ ،

والمطرُ : الغيثُ ، والغيثُ : الكَلَأُ ، والكَلَأُ : العُشْبُ ، والعُشْبُ : العَقَّارُ ، والعَقَّارُ :
الدَّوَاءُ ، والدَّوَاءُ : ما يكون به الشِّفاءُ ، والشِّفاءُ : البرُّءُ من العِلَّةِ ، والعِلَّةُ : السَّبَبُ ،
والسَّبَبُ : الحَبْلُ ، والحَبْلُ : الرِّباطُ .

ومن الكتبِ المؤلَّفةِ في هذا البابِ : (المداخلُ في اللُّغة) لأبي عُمرَ الزَّاهدِ ،
و (شجرُ الدرِّ) لأبي الطَّيِّبِ اللُّغويِّ ، و (المُسلسلُ في غريبِ اللُّغة) لابنِ الاشتراكيِّ ،
وقد أخرجَ الكتبَ الثلاثةَ الآنفةَ الأستاذُ مُحَمَّدُ عبد الجوادِ .

٥. خامساً : كتبُ المثلثِ اللُّغويِّ :

والتَّأليفُ في هذا البابِ لا يَحْفَى على كثيرٍ من طَلَّابِ العلمِ ، والمقصودُ بالمثلثِ
اللُّغويِّ : تلكَ الكلماتُ الَّتِي تختلفُ معانيها باختلافِ حركةِ حَرَفٍ من حروفِها ، ما
لم يكنْ ذلكَ لُغَةً ، كمثلِ : كلمةِ (الغَمْرُ) ، و (الغِمْرُ) ، و (الغُمْرُ) : فالفتحُ : للماءِ
الكثيرِ ، والكسرُ : للحقدِ ، والضَّمُّ : لمن لم يجربِ الأمورَ .

وقد أَرَبَتِ الكتبُ في هذا البابِ على خمسةٍ وأربعينَ كتابًا ، غيرَ كتبِ المعاصرينَ ،
ما بينَ نثرٍ ونظمٍ ، فمنها : (المثلثُ) لِقُطْرُبٍ ، وما وُضِعَ عليه : شرحًا ، أو تحشيةً ، أو
نظمًا ، أو استدراكًا ، و (كتابُ المثلثِ) لابنِ السَّيِّدِ البَطْلَيْوسيِّ ، و (إكمالُ الإعلامِ

بتثليث الكلام (نثر لابن مالك ، و (الإعلام بمثلث الكلام) نظم له ، إضافة إلى المنظومات المربعة ، والمخمسة ، كتخميس نظم المثلث لابن زريق البهسي الذي مطلعُه :

* يا مَوْلَعًا بِالْغَضَبِ *

٦. سادسًا : كتبُ مُصطلحاتِ وكلماتِ الناس :

كثيرٌ من الدَّارسينَ يُغفلُ هذا النَّوعَ ولا يذكرُه ، والمقصودُ به تلكَ الكتبُ التي عُنيَتْ بما اشتهرَ في ألسنةِ النَّاسِ مِنْ عباراتٍ مُركَّبةٍ ، أو جُمْلٍ برُمَّتِها لها مدلولٌ خاصٌّ ، وهذه الكلماتُ التي سارَ عليها النَّاسُ ليست من قبيلِ الأمثالِ التي فيها مصدرٌ وموردٌ ، أو الحكمُ الشَّائعةُ الذَّائعةُ ، بل هي مما اصطَلَحوا عليه ، وجاءَ لمعنى معيَّنٍ بأسلوبٍ معيَّنٍ .

وقبلَ ذكرِ طرفٍ من الكتبِ المتعلقةِ بهذا البابِ أعرَّجُ على بعضِ الأمثلةِ لِيُفْهَمَ المقصودُ ، فمن ذلك :

- الكلماتُ التي اسْتُخْدِمَتْ مضافةً أو مركَّبةً لمعنى من المعاني ، كقولِ القائلِ :
« فلانٌ (ضَرَبَ) الخيمةَ ، فلانٌ (ضَرَبَ) النُّقودَ ، فلانٌ (ضَرَبَ) عنيَّ صفحًا ،

فَلَانٌ (ضَرَبَ) فِي الْأَرْضِ ، فَلَانٌ (ضَرَبَ) بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ « فَضْرَبُ الْخِيَمَةِ : نَصَبُهَا وَإِقَامَتُهَا ، وَضْرَبُ النُّقُودِ : سَكُّهَا ، وَضَرَبَ عَنْهُ صَفْحًا : أَيِ : أَعْرَضَ عَنْهُ ، وَضَرَبَ فِي الْأَرْضِ : أَيِ سَافَرَ ، وَضَرَبَ بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ : أَيِ : شَدَّدَ عَلَيْهِ . وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ كَلِمَةَ (ضَرَبَ) تَكَرَّرَتْ فِي كُلِّ مَا سَبَقَ ، وَلِكُلِّ تَرْكِيبٍ مَعْنَى خَاصٍّ .

- وَمِنْ الْجُمَلِ الَّتِي اصْطَلَحَ عَلَيْهَا الْعَرَبُ قَوْلُهُمْ : « قَلَبَ الدَّهْرُ لِي ظَهَرَ الْمَجَنِّ » أَيِ : عَادَانِي بَعْدَمَا كُنَّا صَدِيقَيْنِ ، وَأَفْقَرَنِي بَعْدَمَا كُنْتُ غَنِيًّا . وَقَوْلُهُمْ : « قَدْ أَخَذْتُ الشَّيْءَ بِحِذَافِيرِهِ » أَيِ : أَخَذْتُهُ بِأَجْمَعِهِ . وَمِنْهَا كَذَلِكَ : « لِأُرِينَنَّكَ الْكَوَاكِبَ بِالنَّهَارِ » أَيِ : لِأَحْزُنَنَّكَ ، وَلَأَغْمَنَّكَ ، وَلَأُبْرِحَنَّ بِكَ ، حَتَّى يُظْلِمَ عَلَيْكَ نَهَارُكَ ، فَتَرَى الْكَوَاكِبَ ، لِأَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَبْدُو فِي النَّهَارِ إِلَّا فِي شِدَّةِ الظُّلْمَةِ .

- وَمِنْ الْجُمَلِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْمُعَاصِرُونَ كَذَلِكَ : (أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَشَرِبَ) ، وَ(هَذَا الْمَوْضُوعُ قُتِلَ بَحْثًا) ، وَ(فَلَانٌ يَخْبُطُ خَبْطَ عَشَوَاءَ) .

وَكَثِيرٌ مِّنَ الدَّرَاسِينَ تَمَرُّ عَلَيْهِ عِبَارَاتٌ كَهَذِهِ ، فَيَعُودُ إِنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهَا لِمَعْجَمَاتِ الْأَلْفَاظِ ، وَكَثِيرًا مَا يَضِلُّ الطَّرِيقَ ؛ لِأَنَّهُ يَقِفُ عَلَى مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ ، وَهَذِهِ الِاسْتِعْمَالَاتُ كَثِيرٌ مِّنْهَا جِيءَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ السَّعَةِ وَانْفِسَاحِ مَجَارِي الْكَلِمِ ، فِيمَا أَنَّ

يقف على الصواب بعد لأيٍ ، وإمّا أن يخبِط خبطَ عشواء !

ومن الكتب المؤلفة في هذا الضرب : (الفاخر) للمفضل بن سلمة ، و (الزاهر في معاني كلمات الناس) لابن الأنباري .

ومن الكتب التي عُنيت بهذا الضرب أيضًا : بعض شروح الشعر الجاهلي ، والإسلامي ، والأموي ، والعباسي ، ففي الشعر أساليب كثيرة لا تفهم بفك غامضها ، وشرح ألفاظها ، وقد قال أبو عمرو بن العلاء قديمًا : « العلماء [أو البصراء] بالشعر أعز من الكبريت الأحمر » فاعرف ذلك واقدِّره قدره .



* ثانيًا : المدارس المعجمية :

اختلفت طرق عرض المادة العلمية في معاجم الألفاظ ، خصوصًا كونها الكتب التي جمعت نفعًا من هذه الأنواع الست ، لكنها لم تستوعب جُل المعاني ؛ لذا تفاوتت في السعة ، والتقصي ، والتتبع ، وقد صُنفت على مدارس ثلاث ؛ تذييلًا للدارسين .

وقبل عرضها ينبغي أن تضع ثلاثة أمور في الحسبان ، هي :

١ . الأمر الأول : اتِّفاق هذه المدارس في نظام تجريد الكلمة من زوائدها ، فكلمة :

(ثراث) تجدها في : (ورث) ، و(مطار) في : (ط ي ر) .

٢. والأمر الثاني : تصرّف بعض المعاصرين من الناشرين وغيرهم في تغيير ترتيب

هذه الكتب ، مثل (لسان العرب - ط . دار صادر) ، وكتب أخرى ، وهذا

التصرّف غير مقبول إن جعل على أنّه من الكاتب ، فمؤلفه رمى بتأليفه غرضاً

معيّناً ، والناشر أو الطابع غيره ، وبدلّه .

٣. والأمر الثالث : اختلاف مقاصد التأليف في كلّ كتاب من الكتب ، فمنهم من

ألّف ليحصّر ألفاظ العربية ، ومنهم من ألّف ليضع ما صحّ عنده روايةً ودرايةً ،

إلى غير ذلك ، وفي هذه التأليف خصائص أخرى ، كعناية بعضها بذكر البلدان ،

وبعضها بذكر اللغات ، وبعضها بالنباتات ، وبعضها بالعقاقير والأدوية ،

والتفصيل في هذا يطول .

وهذا عرض المدارس :

• المدرسة الأولى : مدرسة التّقليبات .

وهذه المدرسة تُعنى بتقليب المادة الواحدة في مكان واحد ، وهي على ضربين :

١. الضرب الأول : مدرسة التّقليبات الصّوتيّة .

والمقصود بها تلك المعجمات التي رتبت الكلمات على ترتيب الحروف ترتيباً

صَوْتِيًّا ، بدءًا بأقصاها في الحلق ، وانتهاءً بحروف الشَّفَتَيْنِ ، مع تقسيم موادِّ كلِّ حرفٍ على الأبنية ، بدءًا بالثَّنَائِيَّ ، ثمَّ الثَّلَاثِيَّ ، وهَلُمَّ جَرًّا .

وأوَّلُ كتابٍ في هذا : (العَيْنُ) المنسوبُ للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ ، ومن كتبِ هذا الضَّرْبِ : (البارُعُ) لأبي عليٍّ القاليِّ ، و (تهذيبُ اللُّغةِ) لأبي منصورٍ الأزهرِيَّ ، و (المحيطُ) للصَّاحِبِ بنِ عبَّادٍ ، و (المحكمُ والمحيطُ الأعظمُ) لابنِ سيِّده الأندلسيِّ .

فإن جِئْتَ بكلمةٍ (ضُبُع) ، وأردتَ معرفتها في هذه الكتبِ ، فإنَّكَ تقفُ على أبعدِ حُرُوفِها مخرَجًا ، وهو : (العَيْنُ) ، ثمَّ (الضَّادُ) ، ثمَّ (الباءُ) ، فستجدُ المادَّةَ تحتَ : (ع ض ب) من الثَّلَاثِيَّ الصَّحِيحِ ، وستجدُ هناك أيضًا : (عضب / بضع / ... إلخ) .

٢. الضَّرْبُ الثَّانِي : مدرسةُ التَّقْلِيْبَاتِ الألفبائيَّةِ :

وهذه المدرسةُ لم يسِرْ على طريقها سوى ابنُ دُرَيْدٍ الأزدِيُّ ، في كتابه (جَمْهَرَةُ اللُّغَةِ) ؛ إذ رَتَّبَ كتابه ترتيبًا ألفبائيًّا ، مع اتِّخَاذِهِ منهجَ تقليبِ المادَّةِ في مكانٍ واحدٍ طريقًا له ، واعتنائه بذكرِ الأبنيةِ قبلَ الأحرفِ ، بخلافِ كتبِ الضَّرْبِ الأوَّلِ .

• المدرسة الثانية : مدرسة القافية :

وقد رُتبت هذه المدرسة ألفاظها بالنظر إلى الحرف الأخير منها ، فكلمة : (أَكَلَ) تجدها في (باب اللام - فصل الألف) ، فيكون التقديم لحرف القافية أولاً ، ثم يجري الترتيب على الطريقة الألفبائية ، وقد سار على هذه المدرسة عددٌ من الكتب منها : (التَّقْفِيَةُ) لأبي بشر اليمان البندنجي ، و (ديوان الأدب) للفارابي - مع جعله الأبنية أساساً - ، و (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري ، و (العُبابُ الزَّاحِرُ واللُّبابُ الفَاخِرُ) للصَّغَانِي ، و (لِسَانُ الْعَرَبِ) لابن منظور ، و (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ وَالْقَابُوسُ الْوَسِيطُ فِيمَا ذَهَبَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ شَمَاطِيطُ) للفيروزآبادي ، و (المعيارُ) لميرزا الشيرازي .

• المدرسة الثالثة : المدرسة الألفبائية ، أو الأبجدية ، أو الهجائية ، أو الأبثية ، أو الْمُعْجَمِيَّةُ :

وهذه التسميات تدل على شيء واحد ، وإن خُطئَ بَعْضُ مَنْهَا ، غير أنها اشتهرت وشاعت ، والغرض هنا بيان منهجها ؛ إذ سارت هذه الكتب على الترتيب الذي أَلْفَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ ، ومشت عليه الْمُعْجَمَاتُ الْحَدِيثَةُ ، فرُتبت الألفاظ ترتيباً هجائياً .

ومن الكتب التي سارت على هذا المنهج : (الْجِيمُ) لأبي عمرو الشَّيْبَانِي ، عصري

الخليل بن أحمد ، وكتابه غير مرتَّب في الحقيقة ، إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْحَرْفُ الْأَوَّلُ
 للكلمة ، ومنها كذلك : (الْمُنْضَدُّ) لِكُرَاعِ النَّمْلِ ، و (الْمُجْمَلُ فِي اللُّغَةِ)
 و (مَقَائِيسُ اللُّغَةِ) لابن فارس ، و (الْمُنتَهَى فِي اللُّغَةِ) للبرمكي ، و (أُسَاسُ
 الْبَلَاغَةِ) لِلزَّمْخَشَرِيِّ - وهو كتابٌ موضوعٌ في الفرقِ بين المعاني الحقيقية
 والمجازية ، مع اعتناءٍ بتفسير اللَّفْظِ ، في جُمْلٍ بلاغيةٍ - .
 وعلى هذا المنهج المعجمات الحديثة .



* خاتمة :

ظَهَرَتْ مدرسةٌ في العَصْرِ الحديثِ اختلفت عن المدارسِ الثلاثةِ الماضيةِ مِنْ
 حَيْثُ التَّرْتِيبُ ، فِكَلِمَةُ (مَغْفِرَةٌ) مثلاً في حرف الميم ... وهكذا ، غير أَنَّهُ لم يُكْتَبْ لها
 الْقَبُولُ ، وَتُسَمَّى (المدرسةُ الواقعيةُ) ؛ إذ عُنِيت بِتَرْتِيبِ الْكَلِمَاتِ كما هي دُونَ
 تَجْرِيدِهَا مِنْ زَوَائِدِهَا ، وقد سارَ على هذه الطَّرِيقَةِ : (مُعْجَمُ الرَّائِدِ) لِجُبْرَانَ مَسْعُودَ
 - أَحَدُ أَسَاتِذَةِ اللُّغَةِ في لُبْنَانَ - ، وقد ظَهَرَ عام (١٩٦٥م) ، وهو شَبِيبٌ بِالْمَعْجَمِ
 الْمَدْرَسِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ ، وَمِنْهَا كَذَلِكَ : (الْمَرْجِعُ) لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَايِلِيِّ ، أَحَدُ لُغَوِيِّي
 الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ .

وقبل أن أطوي صفحة هذه المقالة أشير إلى أن مناهج التأليف في المعجمات عند المعاصرين اختلفت ، فظهرت المعجمات اللبائية ، والمعجمات المصرية ، وبينها فروق ، وبدأت محاولات وضع المعجم التاريخي ، ووضعت المعجمات المزدوجة بين لغتين ، ووضعت كذلك معجمات الكلمات العامية واللهجات .

هذه كتابة عجلت من وحي الخاطر ، أعرضت فيها عن ذكر المراجع والمصادر ، وقد أفدت في ذكر الأنواع مما أخذته عن شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بن يعقوب تركستاني ، والله أسأله أن يعينني على معاودة النظر فيما كتبت ، والحمد لله أولاً وآخراً .



من حلقة الأدب والأخبار

دقائق

الأسئلة

(٢)

صالح العمري

دقائق الحماسة

(٢)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، وبعد : فهذه
سلسلة سأجعل فيها إن شاء الله فوائد ، واستنباطات ، واستدراكات ، ونحو ذلك
من (حماسة أبي تمام) وشروحها ، وأسأل الله أن يُعينني ، ويوفّقني ، وينفع به .

وقد اعتمدت في أرقام المقطوعات على رواية المرزوقي بتحقيق عبد السلام
هارون ، وأحمد أمين ، لأن روايات (الحماسة) في بعضها زيادةً لمقطوعات ، فيختلف
الترقيم في الروايات .



- ١ -

(ب)

المقطوعة رقم : ١٤

قال بعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن حزن النهشلي :

١ . إِنَّا مُحَيُّوكُ يَا سَلَمَى فَحَيِّينَا

وإن سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

٢ . وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرُمَةٍ

يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا

٣ . إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ

عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا

٤ . إِنْ تُبْتَدِرَ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ

تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

٥ . وليس يهلك منّا سيّد أبداً

إلا افتلينا غلاماً سيّداً فينا

٦ . إنّا لنرخص يوم الروع أنفسنا

ولو نسام بها في الأمن أغلينا

٧ . (بيض مفارقنا تغلي مراجلنا

نأسو بأموالنا آثار أيدينا)

٨ . لو كان في الألف منّا واحد فدعوا

من فارس خالهم إياه يعنونا

٩ . إذا الكُماة تنحوا أن يصيبهم

حدّ الظّباة وصلناها بأيدينا

١٠ . ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم

مع البكاة على من مات يبكونا

١١ . ونركب الكره أحياناً فيفرجُه

عنا الحفاظ وأسياف تواتينا



قد رأيت اضطراب العلماء في تفسير « بيض مفارقنا » ، وإنما ذلك في تقديري
لوقوع التحريف فيها ، وكذلك البيت إذا أصابه التحريف ، فإنه قد يلتوي ويعتاص .
وقد كنت رأيت أن صوابها « سود مغارنا » ، وزعمت أنني سأقيم حجة عليه ،
وقد يطول عليك هذا البيان ، وإنما طال لشدة إشكال البيت ، ولو كان البيت مقارباً
لكان البيان وسطاً ، فلم اعتاص هذا طال هذا ، كما قال المتنبي :

لقد أطل ثنائي طولاً لا يسره إن الشناء على التنبال تنبال

فهذا بيان قوله : « سود مغارنا » .



وذلك أن نار الطبخ في شعر العرب - وفي واقع الحال - تسود أربعة أشياء :
هي القدر وما يتصل بها ، وذلك :

١. القدرُ : ووصفها بالسَّوادِ في شعرهم كثيرٌ جدًّا ، ولا نريدُ الإطالةَ به ، ومنه قولُ
النَّابغةِ الذُّبيانيِّ يمدحُ رجُلًا ، ويصفُ قدره :

لَهُ بِنَاءُ الْبَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ تُلَقَّمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْعُرَاعِرِ
بَقِيَّةُ قَدَرٍ مِنْ قُدُورٍ تُورَثُ لَالِ الْجُلَّاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

ولذلك هجوا البخيلَ ببياضِ القدرِ ؛ لأنَّ بياضها يدلُّ على أنَّها لا يُطبخُ فيها ،
قال أبو نواس :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى وَقَدَرُ الرَّقَاشِيِّينَ بَيَضاءَ كَالْبَدْرِ

٢. الأثافيُّ : ووصفها بالسَّوادِ في شعرهم كثيرٌ جدًّا أيضًا ، ومنه قولُ زهيرٍ :

أَثَافِي سُنْفَعًا فِي مُعَرَّسٍ مَرَجَلٍ وَنُؤْيَا كَجِذَمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

سُنْفَعًا : أي سودًا ، والمرجَلُ : القدرُ .

٣. ثيابُ الطَّبَّاخِ : وقد وُصفت في الشعرِ بالسَّوادِ ، وسنُنشدُ في هذا قولَ مسكينِ

الدَّارميِّ . ولذلك أيضًا هجوا البخيلَ ببياضِ ثيابِ الطَّبَّاخِ كما هجوه ببياضِ

القدرِ ، لأنَّه لو كان الطَّبَّاخُ يطبخُ لاسودَّت ثيابهُ ، قال طرفةٌ يهجو عمرو بنَ

هندٍ :

أَمَّا الْمَلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمَّهُمْ لَوْمًا وَأَبْيُضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ

أي : لا يسودُّ سِرْبَالُ طَبَّاحِك ؛ لَأَنَّهُ لَا يَطْبُخُ أَصْلًا ، وَلِلْبَيْتِ رَوَايَاتٌ أُخْرَى ،
وَنَقْصِدُ بِالطَّبَّاحِ الطَّبَّخَ عَلَى نَارِ الْحَطَبِ كَمَا كَانَ فِي وَقْتِهِمْ ، فَإِنَّهُ يَسْوَدُّ الثِّيَابَ
لِكَثْرَةِ الدَّوَاحِنِ ، وَأَمَّا الْغَازُ الَّذِي يُطْبَخُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَلَيْسَ لَهُ دُخَانٌ يَسْوَدُّ الثِّيَابَ ،
لَكِنْ قَدْ تَسَخَّ ثِيَابُ الطَّبَّاحِ الْيَوْمَ كَثِيرًا بِسَوَادٍ وَغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ يَطْبُخُ عَلَى غَازٍ .
وَقَالَ آخَرُ :

مَطْبُخُ دَاوُدَ مِنْ نَظَافَتِهِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْشِ بَلْقَيْسٍ
ثِيَابُ طَبَّاحِهِ إِذَا اتَّسَخَتْ أَنْقَى بَيَاضًا مِنَ الْقَرَاتِيسِ

وَقَالَ آخَرُ :

ثِيَابُ طَهَاتِكَ عِنْدَ الشِّتَا بَيْضٌ تَلَالُؤٌ لَا تَدْنُسُ
وَقَدْرُكَ لَمْ يَعْرِهَا طَارِقٌ وَكَلْبُكَ مُنْجَحِرٌ أَخْرَسُ

لَأَنَّ كَلْبَهُ لَا يَرَى ضَيْفًا غَرِيبًا فَيَنْبَحُهُ ، وَلَا يَسْمَعُ مُسْتَنْبَحًا فَيُجِيبُهُ .

وَقَدْ يَسْوَدُّ مَعَ الثِّيَابِ شَيْءٌ مِنَ بَدَنِ الطَّبَّاحِ ، كَالْكَفَّيْنِ وَالْمَعْصَمَيْنِ .

٤. الْمَغَارِفُ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا مِنَ الْقُدُورِ : وَلَا أَعْرِفُ وَصْفَهَا بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي شِعْرِ

حَمَاسِيٍّ لِمَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ سَنُنْشِدُهُ الْآنَ .

وقد جمع مسكين الدارمي في أربعة أبياتٍ مُتتاليةٍ هذه الأشياء الأربعة التي
عدّناها ، بهذا الترتيب نفسه ، أعني سواد القدور ، وسواد الأثافي ، وسواد ثياب
الطباخين ، وسواد المغاريف ، وأبيات مسكين الدارمي هي :

كأنَّ قُدُورَ قُومِي كُلِّ يَوْمٍ	قَبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةُ الْجَلَالِ
أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمِلُهَا أَثَافٍ	مُلَمَلَمَةٌ كَأَثْبَاجِ الرِّئَالِ
كَأَنَّ الْمُوقِدِينَ لَهَا جِمالٌ	طَلَاها الزَّفَتَ وَالْقَطِرَانَ طَالِ
بأيديهم مَغَارِفُ مِنْ حَدِيدٍ	أَشَبَّهَا مُقَيَّرَةُ الدَّوَالِي

والذي في روايات (الحماسة) البيت الأول والثالث والرابع ، وليس فيها البيت
الثاني ، وكأنَّ أبا تمام لم ينتخبه معها ، لكنَّ القصيدة موجودة في ديوانه كاملة ، وأربعة
الأبيات فيها هكذا .

فأما البيت الأول : ففيه وصفُ القدورِ بالسَّوادِ ، لقوله : « مُلْبَسَةُ الْجَلَالِ » ، قال
الشَّتَمَرِيُّ : « شَبَّهَ الْقُدُورَ لِعِظَمِهَا وَسَوَادِهَا بِقَبَابِ التُّرْكِ ، وَهُمْ يُجَلِّلُونَهَا السَّوَادَ ،
وَمَعْرُوفٌ ذَلِكَ مِنْهُمْ » اهـ

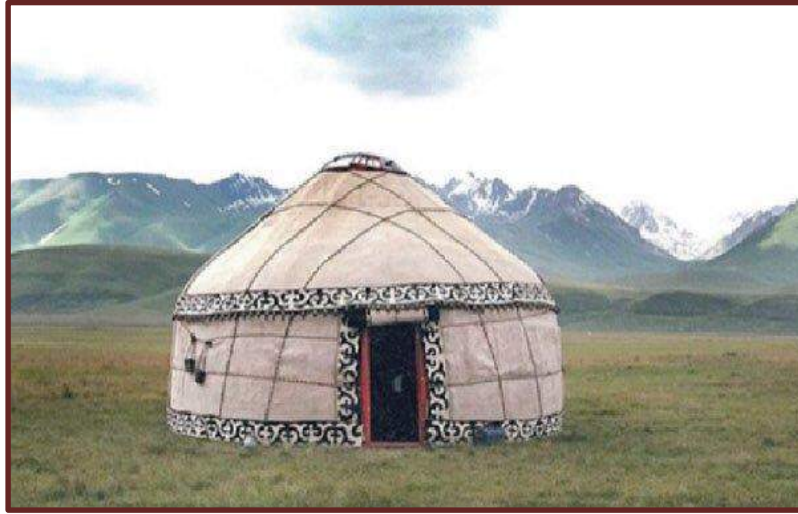
قلتُ : وشبَّهها بها لاستدارتها أيضًا ، فإنَّ القَبَابَ دائريَّةٌ كشكلِ القدرِ ، وليست

مُرَبَّعةً كما تكونُ الأخبيةُ عندَ العربِ ، وللعربِ قِبابٌ مُستديرةٌ أيضًا .

والتركُ ليسوا أهلَ تركيا فقط كما يتوهمُ بعضُ الناسِ اليومَ ، بل هو اسمٌ يشملُ شعوبًا كثيرةً ، كالآذِرِ ، والأوزبِكِ ، والكازاخِ ، والقرقيزِ ، والتتارِ وغيرهم ، فهؤلاءِ الشعوبُ أكثرُ مساكنهم قديمًا قِبابٌ دائريةُ الشكلِ ، ولا تزالُ فيهم إلى اليومِ .

وهذا أهمُّ من وجهي الشبهِ اللذين ذكرهما الشنتمريُّ ، وهو الشبهُ في الشكلِ ، ولا يثربُ على الشنتمريِّ في تركِ ذكره على أهميَّته ؛ لأنَّ شكلَ القُدورِ وشكلَ القبابِ معروفٌ فلا حاجةَ إلى ذكره ، وأمَّا السَّوادُ فقد تكونُ القُدُرُ غيرُ سوداءَ ، وذلك إذا كانت لا يُطبخُ فيها ، وكذلك العِظْمُ فقد تكونُ القُدُرُ غيرَ عظيمةٍ ، فمعنى كلامِ الشنتمريِّ : أنَّ مسكينًا أرادَ أن يدلَّ على سوادِ قُدورهم مِّن كثرةِ الطَّبخِ فيها ، وعلى عِظَمِ قُدورهم ، فلذلك شَبَّهها بالقبابِ في سوادِها وعِظَمها ، وسَمَّ هذين إن شئتَ فائدةَ التَّشبيهِ ، لأنَّ التَّشبيهَ إنما سيقَ من أجلِهما ، وليسَ من غرضٍ مسكينٍ أن يدلَّ بالتَّشبيهِ على شكلِ قُدورهم وأنها مُدَوَّرةٌ ، لكنَّ هذا التدويرَ في الشكلِ هو الَّذي سوَّغَ التَّشبيهَ ، وسَمَّه إن شئتَ عمودَ التَّشبيهِ ، فلو لم يكن الشَّبهُ واقعًا في الشكلِ المدوَّرِ ما ساعَ أن تُشَبَّهَ القُدورُ بأيِّ شيءٍ أسودٍ عظيمٍ للدَّلالةِ على سوادِ القُدورِ وعِظَمِها .

والقباب المدورة تُشبه القدورَ حقًا شَبها تامًا ، وهذه صورةٌ لِقُبَّةٍ في قرقيزستان ،
وقرقيزستان من بلادِ التُّرك :



فإذا نظرتَ إلى صورةِ القُبَّةِ المدورةِ رأيتها أشبهَ شيءٍ بالقدِرِ ، وسقفُها الَّذي
فوقها يُشبهُ أغطيةَ القدورِ ، فليلَّه ما أحسنَ هذا التَّشبيهُ ، وما أحكمه !

وأعيدُ هنا باختصارٍ شيئًا ذكرتهُ من قبلُ مُفرِّقًا : أنَّ التَّشبيهُ غالبًا ما تراهُ يكونُ في

ثلاثةِ أشياء :

١. الشَّكلِ .

٢. واللَّونِ .

٣. والحجمِ .

فقد يكون التشبيه في واحدٍ منها ، وقد يكون في اثنين ، وقد يكون في ثلاثتها ، فالذي ذكره الشنتمري من عظمها وسوادها هو الحجم واللون ، والذي ذكرته من الاستدارة هو الشكل ، وقد اجتمعت كلها في تشبيه القدور بالقباب السود .

وقد يكون التشبيه في غير هذه الأشياء ، فيكون تشبيه ريحٍ بريح ، أو صوتٍ بصوت ، أو ملمسٍ بملمس ، أو غير ذلك .

ونعود إلى حديثنا - وأنا أتكلّم عن أبيات مسكينٍ بشيءٍ من التفصيل ؛ لأنّها من أبيات (الحماسة) أيضاً فهي داخلة في العنوان (دقائق الحماسة) - فنقول :

« قبابُ التُّركِ » جعلها المحقّقان في ديوانه : « قيانُ التُّركِ » ، وقالوا : في (ديوان المعاني) : « قبابُ البركِ مُلبَّسةُ الجلالِ » ، وفي الأصل : (قباب) ، وكلاهما تصحيفٌ ، ولعلّ الصّواب ما أثبتناه « اهـ

ولا أدري من أين جاء بالقيان ؟! وهو شيءٌ من كيسهما ، وهو باطلٌ لا يصحُّ ، والذي في الأصل : « قبابُ » ، والذي في (ديوان المعاني) : « قبابُ » ، والذي في روايات (الحماسة) التي رأيتها كلّها : « قبابُ » ، وكذلك في (التذكرة الحمدونية) ، وفي (الحلل) للبطلوسي ، وفي (خزانة الأدب) ، وليس فقط في (ديوان المعاني) ،

والأصل كما يفهم من كلامهما ، والأصل الذي نقلنا القصيدة منه هو مخطوطة
(الموقّيات) للزبير بن بكار .

على أن في نفسي شيئاً من (قباب) ، ولكن ليس صوابها (قيان) كما زعم ، وإنما
أخشى أنه أراد تشبيهها بالخليل لا بالقباب ، كما في قول عمرو بن أحمز في صفة القدور
وقد شبهها بالخليل :

إذا ركّدت حول البيوت كأنما ترى الآل يجري عن قنابل صيم

وقد شرحنا هذا البيت من قبل في حديث (التشبيه المعكوس) ^(١) ، وبيننا وجه
الشبه بين القدور والخليل ، ووجدت في الموسوعة الشعرية بيتاً يشبهه أيضاً ، وهو قول
حسن بن ثابت رضي الله عنه :

إذا غبر آفاق السماء وأمحلت كأن عليها ثوب عصب مسهما

حسبت قدور الصاد حول بيوتنا قنابل دهما في المحلة صيما

والذي يقوي هذا الشك قول مسكين الدارمي : « ملبسة الجلال » ، فكأنه يصف
خيلاً ، والجلال قد يأتي بمعنى الغطاء لكل شيء ، فيصلح بهذا المعنى أن يكون

(١) نُشر في مجلة الملتقى (العدد ٥ - ص ١٩) .

للقباب ، ولكنَّ الجِلالَ أيضًا جمعُ جُلٍّ ، قالَ في (اللِّسانِ) : « جُلُّ الدَّابَّةِ وجَلُّها : الَّذي (تُلبَّسُهُ) لتُصانَ به ... والجمعُ : جِلالٌ وأجلالٌ » اهـ فقولُ مسكينٍ : « مُلبَّسَةٌ » يقربُ أن يكونَ أرادَ خيالًا ألبستَ الجِلالَ ، فيكونُ البيتُ مثلًا :

* جِياذُ التُّركِ مُلبَّسَةٌ الجِلالِ *

كما قالَ عديُّ بنُ زيدٍ :

والأباريقُ عليها فُدمٌ وجِياذُ الحَيلِ تجري في الجِلالِ

ويكونُ شَبَّهُ قدورِ قومِهِ الَّتِي حوَلَ بيوتِهِم بالجِياذِ في مَرآها للنَّاظِرِ مِن بعيدٍ إليها ، كما شرحنا في بيتِ عمرو بنِ أحمَرَ ، وحسانِ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنه ، وزادَ إلباسَها الجِلالَ ؛ ليدلَّ على سوادِ القدورِ .

ولا يبعدُ رسمُ (القِبابِ) مِن (الجِياذِ) وإن توهَّمتَ الآنَ تباعدَهما ، فليستَ الخطوطُ القديمةُ كهذا الَّذي تراه اليومَ ، وما أخرى لفظة (جِياذِ) إن كُتبتَ كما كانت تُكتبُ في ذلكَ الزَّمانِ بأن تلتبسَ بلفظة (قِبابِ) .

فالحاصلُ أني أخشى أَنَّهُ تحريفٌ قديمٌ ، ولستُ الآنَ على يقينٍ مِن ذلكَ ، وأمَّا (قِيان) الَّتِي اقترحها المُحقِّقانِ فلا يُلْتَفَتُ إليها .

وأما البيت الثاني : فدلَّ على سوادِ الأثافيِّ لقوله : « كأثابج الرِّئالِ » ، والرِّئالُ : جمعُ رَألٍ ، وهو فرخُ النِّعامِ ، وثَبَجُ كلِّ شيءٍ وسطه ، فَثَبَجُ الرِّئالِ هو جِسْمُه كُلُّهُ ما خلا رجليه وعُنقه ورأسه ، فترى ثَبَجَه مُكَمَّلًا مُجْتَمِعًا مُدَوَّرًا ، ولونه أورقُ - وهو ما يُسمَّى اليومَ بالرماديِّ - يَضْرِبُ إلى السَّوادِ .

فشبه الأثافيَّة بثَبَجِ الرِّئالِ في ثلاثة أشياء ، في :

- ١ . شَكْلُه ، واستِدَارَتُه .
 - ٢ . وفي لونه الَّذي يَضْرِبُ إلى السَّوادِ .
 - ٣ . وفي حَجْمِه ، فإنَّ ثَبَجَ الرِّئالِ ليسَ صغيرًا ، والأثافيَّةُ الَّتِي تكونُ بِمِقْدَارِ ثَبَجِ الرِّئالِ أثافيَّةٌ كبيرةٌ حقًّا ، وهو يريدُ أن يصفَ القدورَ والأثافيَّ بِالْعِظَمِ .
- وهذا أيضًا غيَّره المُحقِّقانِ فجعلاهُ « كأثابج الرِّمالِ » ، ولم يُقيِّمَّا على ذلكَ بيِّنَةً ، قالا في الهامشِ : « في الأصلِ : « أثابج الرِّئالِ » ، ولعلَّ صوابه ما أثبتناه » اهـ

فأما ثَبَجُ الرَّمْلِ فهو وَسَطُه ومعظُمُه ، أي : وسطُ الكَثيبِ ومعظُمُه ، وهو لا يُشَبِّهُ الأثافيَّةَ في الشَّكْلِ ، ولا في اللَّوْنِ ، وأما في الحَجْمِ ، أي : العِظَمِ والمِقْدَارِ فيجوزُ أن يكونَ شَبَّهَها بها على إرادةِ المبالغةِ والإغراقِ ، وليستَ بأشنعَ من قولِ زيادِ الأعجمِ ، أو غيره :

وبَوَّاتُ قِدْرِي لِلوَرَى فَوَضَعْتُهَا بِرَابِيَةٍ مِّنْ بَيْنِ مَيْثٍ وَأَجْرَعِ
 جَعَلْتُ لَهَا هَضْبَ الرَّجَامِ وَطَخَفَةً وَغَوْلًا أَثَافِي دُونَهَا لَمْ تُنَزَّعِ
 بِقَدْرِ كَأَنَّ اللَّيْلَ شَحْنَةٌ قَعْرِهَا تَرَى الْفِيلَ فِيهَا طَافِيًا لَمْ يُقَطَّعِ
 يُعَجِّلُ لِلأَضْيَافِ وَارِي سَدِيفِهَا وَمَنْ يَأْتِيهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَشْبَعِ

وهذا إغراقٌ فاحشٌ في المبالغة ، فزعم أن قدره تُشبعُ النَّاسَ كُلَّهُم ! وأنها تسعُ الفيلَ
 فيطفو فيها من غير أن يُقَطَّعَ ! وأدهى من ذلك وهو الَّذي يَعْنِينَا زَعْمُهُ أَنَّهُ جَعَلَ
 هَضْبَ الرَّجَامِ وَطَخَفَةً وَغَوْلًا أَثَافِيٍّ لِقَدْرِهِ ، وهذه أسماءُ جبالٍ بينها مسافاتٌ ، فزعم
 أَنَّهُ جَعَلَهَا أَثَافِيٍّ لِقَدْرِهِ !!

لكنني أرى أَنَّ (الرِّئَالَ) هو الصَّوَابُ ؛ لِأُمُورٍ ، هي :

١ . ما ذكرنا من أَوْجِهِ الشَّبهِ الثلاثةِ بين الأَثْفِيَّةِ وَثَبَجِ الرِّئَالِ ، وليس لثَبَجِ الرَّمْلِ هذه
 الأَوْجُهَةَ مِنَ الشَّبهِ كما ذكرنا .

٢ . ولأنَّ (الرِّئَالَ) هو الَّذي في الأَصْلِ ، وَأَمَّا (الرِّمَالُ) فَمِنْ عِنْدِ الْمُحَقِّقِينَ .

٣ . ولقولِ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى دَالِيَّةٌ :

قُدُورُ ابْنِ حَرْبٍ كَالْجَوَابِي وَتَحْتَهَا أَثَافٍ كَأَمْثَالِ الرِّئَالِ رُكُودُ

ومعلوم أن المقصود تشبيهها بأثباح الرئال وإن لم يُعَيَّن ذلك ، وأنَّ الرَّجَلَيْنِ
والعُنُقَ والرَّأْسَ غيرُ مقصودَةٍ في التَّشْبِيهِ ، ولا يسوغُ في هذا البيت أن يقال :
(أثافٍ كأمثال الرِّمالِ) ، وقد أثبتَّها المُحَقِّقَانِ في القصيدة الدَّالِيَّةِ كما هي ،
ولم يُغَيِّرَاهَا كما صَنَعَا في القصيدة اللَّامِيَّةِ .

٤ . ولأنَّ العربَ تُشَبِّهُ القِدْرَ نفسَهَا بحِزْومِ النَّعَامَةِ أو ثَبَجِهَا ، وهو كثيرٌ في شعرِهِمْ ،
قالَ الجاحِظُ في (الحيوانِ) : « والشُّعْرَاءُ يُشَبِّهُونَ القِدْرَ الضَّخْمَةَ الَّتِي تَكُونُ
بِمَنْزِلِ العَظِيمِ وَأَشْبَاهِهِ مِنَ الْأَجْوَادِ بِالنَّعَامَةِ » ، ثُمَّ أَنشَدَ بَيْتًا لِلْفَرَزْدَقِ ، وهو من
أبياتِ (الحماسة) يَصِفُ قِدْرًا :

بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ لَيْسَتْ بِلَقْحَةٍ تُدِرُّ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُهَا
غَضُوبًا كَحِزْومِ النَّعَامَةِ أَحْمَشْتُ بِأَجْذَالِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا

وحِزْومُهَا هو صدرُهَا ، والمرادُ بذلك ثَبَجُهَا .

فكما شَبَّهَ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ القِدْرَ بِثَبَجِ النَّعَامَةِ شَبَّهَ مِسْكِينُ الْأَثْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ
مِنَ القِدْرِ بِثَبَجِ الرِّئَالِ الَّذِي هُوَ فَرْخُ النَّعَامَةِ .

وكما شَبَّهَ الْفَرَزْدَقُ القِدْرَ بِحِزْومِ النَّعَامَةِ الْكَبِيرَةِ فِي :

١ . اسْتِدَارَتِهِ .

٢. ولونه ، وحيزومُ النّعامِ الكبيرةِ شديدُ السّوادِ ، وكذلك تكونُ القِدرُ إذا كثرُ الطَّبْخُ فيها .

كذلك شبّه مسكينُ الأثْفِيّةَ بِشَجِ الرَّألِ الَّذِي هُوَ فَرخُ النّعامِ في :
١. استِدارته .

٢. ولونه .

وأما الوجهُ الثّالثُ مِنْ أَوْجِه الشّبهِ - وهو الحِجْمُ - فَإِنَّ كَلًّا مِنْهُمَا جَعَلَ التّشْبِيهَ مَبْنِيًّا عَلَى مَا يُنَاسِبُهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْقِدْرُ أَكْبَرَ مِنَ الْأَثْفِيّةِ شَبَّهَهَا الْفِرْزْدُقُ فِي حَجْمِهَا بِشَجِ النّعامِ الْكَبِيرَةِ ، وَلَمَّا كَانَتْ الْأَثْفِيّةُ أَصْغَرَ مِنَ الْقِدْرِ شَبَّهَهَا مَسْكِينُ فِي حَجْمِهَا بِشَجِ الرَّألِ ، وَهُوَ فَرخُ النّعامِ .

وقد تكونُ القِدرُ أَصْغَرَ مِنَ الَّتِي سَبَقَ وَصَفُهَا فَيُشَبَّهونَهَا بِالرَّألِ ، قَالَ تَمِيمُ بْنُ أَبِي :

وَلَا تَزَالُ لَهُمْ قِدْرٌ مُغَطَّيَّةٌ كَالرَّألِ تَعْجِلُهَا الْأَعْجَازُ وَالْقَمَعُ

وليست هذه بصغيرة على الحقيقة ، وَإِنَّ قِدْرًا فِي مِثْلِ مِقْدَارِ الرَّألِ الَّذِي كَبَرَ قَلِيلًا لَتُشَبَّعُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

وَأَمَّا بَيْتُ مَسْكِينِ الثَّالِثُ : ففيه وَصْفُ ثِيَابِ الطَّبَّاحِينَ ، أَوْ الْمُوقِدِينَ ، أَوْ الْمُوقِدِينَ بِالسَّوَادِ ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَهُمْ بِجِبَالِ طُلَيْتِ بَزْفٍ وَقَطِرَانٍ ، وَالزَّفْتُ وَالْقَطِرَانُ كِلَاهُمَا أَسْوَدٌ .

وَأَمَّا بَيْتُ مَسْكِينِ الرَّابِعُ - وهو الَّذِي سُقْنَا الْآيَاتِ مِنْ أَجْلِهِ - : ففيه وَصْفُ الْمَغَارِفِ بِالسَّوَادِ ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَهَا بِالدَّوَالِي الْمُقَيَّرَةِ ، أَيِ : الْمُطْلِيَّةِ بِالْقَارِ ، وَالْقَارُ أَسْوَدُ أَيْضًا ، وَالدَّوَالِي : جَمْعُ دَالِيَةٍ ، وَهِيَ شَيْءٌ يُتَّخَذُ مِنْ خُوصٍ وَخَشَبٍ ، يُسْتَقَى بِهَا بِجِبَالٍ تُشَدُّ بِهَا فِي رَأْسِ جَذَعٍ طَوِيلٍ ، فَشَبَّهَ مَغَارِفَهُمْ فِي عِظَمِهَا بِهَذِهِ الدَّوَالِي الَّتِي يُسْتَقَى بِهَا ، وَيُغْرَفُ بِهَا الْمَاءُ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَنَحْوِهَا .

قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : « وَجَعَلَ (الْمَغَارِفَ سُودًا) لِمَا عَلِقَ بِهَا فِي الْمُمَارَسَةِ مِنْ سَوَادِ الْقُدُورِ وَالنَّارِ ، وَمِنْ زُهوميةِ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ » اهـ

فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ : « الْمَغَارِفَ سُودًا » ، وَإِلَى قَوْلِ مَسْكِينِ :

بِأَيْدِيهِمْ (مَغَارِفٌ) مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهُهَا (مُقَيَّرَةٌ) الدَّوَالِي

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى الَّذِي اقْتَرَحْنَاهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَاكَ الْمَوْضِعُ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الْمَشْكِلِ هَكَذَا :
« سُودٌ مَغَارِفُنَا » ، وَشِعْرُ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَقَدْ اسْتَعْنَا بِبَيْتِ مَسْكِينِ الرَّابِعِ

على معرفة الصَّوابِ في البيتِ المُشكِليِّ للمُرَقَّشِ الأكبرِ ، أو لبشامةِ بنِ حَزَنِ ، كما
استعنا ببيتِ الفرزدقِ على معرفة الصَّوابِ في بيتِ مسكينِ الثاني .



فإن قيل : أين الفخرُ في سوادِ مغارِفهم حتَّى يقولَ : « سُودٌ مغارِفُنا » ؟

قلنا : إنَّما فخرَ به لأنَّ المغارِفَ هذه لا تسودُّ إلَّا إذا طالَ دُنُوها مِنَ النَّارِ ،
ومُلامستُها لظاهرِ القدرِ وباطنِها ، فإنَّ كليهما أسودُّ ، وإذا طالَ الغرْفُ بها منها ، فهذا
كنايةٌ عن كثرةِ طَبخِهم ، ومُعاجلتهم للقُدورِ وما فيها ، كما يقالُ : فلانٌ كثيرٌ رمادٍ
القدرِ ، لأنَّه لا يكثرُ رمادُ القدرِ إلَّا على طولِ الطَّبخِ والإيقادِ .

وإذا كانوا سبوا ببياضِ القدرِ كما أنشدنا من قولِ أبي نُواسٍ في هجاءِ الرِّقَاشِيِّينَ ،
ومدحوا بسوادِ القدرِ كما في قولِ النَّابِغَةِ ، وافتخروا بسوادِ القدرِ كما في قولِ الفرزدقِ
وغيره ، فكَذلكَ يفتخرونَ بسوادِ المغارِفِ ، لأنَّ السَّبِيلَ في ذلكَ واحدةٌ ، وسوادُ
المغارِفِ يدلُّ على كثرةِ القَرى ، كما يدلُّ عليه سوادُ القُدورِ ، ولو لم يكنْ دالًّا على كثرةِ
القَرى ما مدَحَ به مسكينُ الدَّارميُّ قومَه ، فتراهُ قد مدَحَهم بعِظَمِ مغارِفِهم وسوادِها ،
ومدَحُه لقومِه بذلكَ هو افتِخارٌ بهم على الحقيقةِ ، فكَذلكَ فخرُ صاحبِنا بسوادِ

مَغَارِفِ قَوْمِهِ فِي قَوْلِهِ : « سُودٌ مَّغَارِفُنَا » .



وَلَا تَقُلْ كَيْفَ يَنْتَقِلُ الشَّاعِرُ مِنْ قَوْلِهِ :

٦ . إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا

إِلَى أَنْ يَقُولَ :

٧ . (سُودٌ مَّغَارِفُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا)

فَمَا أَقْبَحَ مَوْقِعَ (سُودٌ مَّغَارِفُنَا) بَعْدَ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ إِرْخَاصُ أَنْفُسِهِمْ فِي الْقِتَالِ
وَإِغْلَاؤُهُمْ إِيَّاهَا فِي الْأَمْنِ !

لَا تَقُلْ هَذَا ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْبَيْتَيْنِ مُلَفَّقَانِ مِنْ قَصِيدَتَيْنِ ، وَلَيْسَا مِنْ قَصِيدَةٍ
وَاحِدَةٍ أَصْلًا ، وَقَدْ نَقَلْنَا مِنْ قَبْلُ كَلَامَ الْبَغْدَادِيِّ فِي (الْخَزَانَةِ) ، وَإِنَّمَا جَاءَتِ الْآيَاتُ
فِي رَوَايَاتِ (الْحِمَاسَةِ) مُلَفَّقَةً مِنْ شَعَرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا لِلْمُرْقَشِ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ
ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي (نَوَادِرِهِ) ، وَرَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ حَبِيبٍ وَأَدْخَلَهُ فِي (الْمُفْضَلِيَّاتِ) ، وَالْآخَرُ
لِبَشَامَةِ بْنِ حَزْنٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَكَأَنَّ الْبَيْتَ السَّادِسَ هَذَا مِنْ شَعْرِ بَشَامَةٍ ، وَالْبَيْتَ السَّابِعَ

المُشْكَلُ مِنْ شَعْرِ المَرْقَشِ ، وَأَبْيَاتُ المَرْقَشِ الَّتِي أَنْشَدْنَاهَا مِنْ (الْمُفْضَلِيَّاتِ) لَيْسَ فِيهَا
هَذَا الْبَيْتُ السَّادِسُ ، وَإِنَّمَا هِيَ هَكَذَا :

يَا دَارَ أَجْوَارِنَا قُومِي فَحْيَيْنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سِرَافَةَ خِيَارِ النَّاسِ فَادْعِينَا
شُعْتُ مَقَادِمُنَا نُهَبَى مَرَا جِلْنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
الْمُطْعَمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ وَخَيْرُ نَادٍ رَأَى النَّاسُ نَادِينَا

وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْيَاتُ كُلُّهَا مِنْ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعَهَا هَذَا الْبَيْتُ
الْأَخِيرُ الَّذِي فِيهِ « الْمُطْعَمُونَ إِذَا ... » ، وَهَذَا الْبَيْتُ هُوَ الَّذِي يُسَوِّغُ ذَكَرَ الْمَغَارِفِ
لِذِكْرِ الْإِطْعَامِ فِيهِ ، وَلَعَلَّهُ كَانَ فِي الْقَصِيدَةِ أَبْيَاتٌ أُخْرَى مِنْ جِنْسِهِ ، وَهَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ
مَوْجُودٍ هُنَاكَ فِي (الْحِمَاسَةِ) ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي فِي (الْحِمَاسَةِ) لَمْ يَحِوِ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا ،
وَأَبُو تَمَّامٍ لَا يَخْتَارُ أَبْيَاتَ الْقَصِيدَةِ كُلَّهَا ، فَلَمَقْصُودُ أَنَّ الْإِنْتِقَالَ الَّذِي كَرِهْتَهُ بَيْنَ
الْبَيْتَيْنِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ لَمْ يَقَعْ فِي الْقَصِيدَةِ هَكَذَا ، بَلْ اخْتَارَ أَبُو تَمَّامٍ أَبْيَاتًا
مُتَفَرِّقَةً فَصَارَ بَعْضُهَا فِي مَوْضِعِهَا نَشَارًا ، كَأَنَّهُ مُنْبَتٌّ مِمَّا قَبْلَهُ .

وَمَا دَامَ قَدْ وَقَعَ فِي الرِّوَايَةِ « نُهَبَى مَرَا جِلْنَا » فَإِنِّي أَرَاهَا أَحْسَنَ مِنْ « تَغْلِي
مَرَا جِلْنَا » وَأَوْقَعَ مَعَ « سُودٌ مَغَارِفُنَا » ، وَسَابِغٌ ذَلِكَ ، وَالنُّهْبَى اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي

يُنْهَبُ ، أي : يَتَنَاهَبُ المساكينُ ما في مَرَاجِلِهِمْ ، وأنا أَحْسَبُ أَنَّ البيتَ الرَّابِعَ مِنْ هذه
قَبْلَ الثَّالِثِ مِنْهَا ، فَتَكُونُ هَكَذَا :

المُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ وخَيْرُ نَادٍ رَأَى النَّاسُ نَادِينَا
سُودٌ مَّغَارِفُنَا نُهَبَى مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيِّدِينَا

وقد يكونُ سَقَطٌ مِنْ هذه القصيدة أبياتٌ بَعْدَ البَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَأَحْسَبُ أَنَّهَا قصيدةٌ
طويلةٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا هذا .

واضطرابُ تَرْتِيبِ الأبياتِ في القصائدِ القديمةِ كثيرٌ ، وأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَيْهِ أَنَّكَ
تَجِدُ القصيدةَ الواحدةَ تُرَوَى في المَوْضِعَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ بِتَرْتِيبَيْنِ يَخْتَلِفُ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْ
صَاحِبِهِ ، فَهَلْ جَاءَ الشَّاعِرُ بِهذا وهذا ؟! بل هو اضطرابٌ حَصَلَ في الرِّوَايَةِ .

وَلَا تَعْجَلْ عَلَيَّ وَتَقُولُ : هَذَا يَعْبَثُ بِشَعْرِ الْعَرَبِ . فَإِنِّي لَا أَجْزِمُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا ،
وَلَا أَبْنِي عَلَيْهِ فَأُغَيِّرُ شَيْئًا مِمَّا أُثْبِتَ فِي الْكُتُبِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَأْمُلٌ وَتَقْدِيرٌ ، وَمُقَارَبَةٌ
وَتَفَكِيرٌ ، فَإِنْ طَابَ لَكَ فَارْكَنْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَا فَدَعُهُ وَلَا تَعَبَأْ بِهِ .

يُتَبَعَ .



من حلقة العلوم الشرعية

الرأية

في أحكام حفص

من طريق الشاطبية

رضوان آل إسماعيل

الرأية

في أحكام حفص من طريق الشاطبية

لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّي لَدَى الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ

لَكَ الشُّكْرُ فِي الْحَالَيْنِ بِالسَّرِّ وَالْجَهْرِ

وَتَثَبَّتْ تَسْلِيمًا عَلَى الْحَبِّ أَحْمَدُ

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ « مَعَ صَحْبِهِ الزُّهْرِ »

وَبَعْدُ فَذَا نَظْمٌ وَجِيزٌ وَضَعْتُهُ

لِمُسْتَعْلٍ بِالذِّكْرِ يقرأ أَوْ يُقْرَى

لِـ (بَهْجَةُ لِحَاطِ) أَحَاكِي مُضْمِنًا

وَتَلْكَ عَلَى خَطْوِ لِـ (رَائِيَّةٍ) تَجْرِي

جَمَعْتُ بِهِ أَحْكَامَ حَفْصٍ لِعَاصِمٍ

عَلَى مَا رَوَاهُ الشَّاطِبِيُّ عَلَى الْحَصْرِ

فَلَيْسَ لَهُ التَّكْبِيرُ فِي سُورِ الضُّحَى

«وَلَا سَكَتَ قَبْلَ الْهَمْزِ» «يَنْعَوْنَ» «مِنْ أَجْرِ»

«وَبَلَّ رَانَ» «مَنْ رَاقٍ» «وَمَرَقَدْنَا» كَذَا

«لَهُ عَوَجًا» «بِالسَّكْتِ» «فِي الْأَرْبَعِ الْغُرِّ»

وَمُتَّصِلًا مَعَ ذِي انْفِصَالٍ فَوْسَطُنْ

وَلَا مَدَّ لِلتَّعْظِيمِ إِذْ لَيْسَ مِنْ قَصْرِ

وَمَدَّ بِحَرْفِ الْعَيْنِ إِنْ شِئْتَ أَرْبَعًا

أَوْ أَشْبِعَ وَقَدَّمَ ذَا وَلَا تَأْتِ بِالْقَصْرِ

وَفِي هَمْزَتِي «ءَالِنَ» «الَّذَكْرَيْنِ» مَعَ

«ءَالِلُهُ» «تَسْهِيلٌ أَوْ الْمَدُّ ذُو الْوَفْرِ

ولا غُنَّةٌ في اللَّامِ والرَّاءِ ها هُنا

وأدغمَ محضًا قافَ ﴿تَخْلُقُكُمْ﴾ فَأدِرِ

وفي ﴿ارْكَبْ﴾ وفي ﴿يَلْهَثْ﴾ فيُدغمُ لازِمًا

وَنُونًا وَيَاسِينًا فَبِالضَّدِّ يَسْتَقِرِّ

﴿وَأَتْلَيْنِ﴾ نَمْلٍ فافتح الياءَ مُوصِلًا

وفي الوقفِ أثبتْها أو احذفْ بِلا نُكْرِ

وفي الألفاتِ السَّبعِ أثبتَ واقِفًا

وزدْ وَجَهَ حَذِفٍ في ﴿سَلَسِلَ﴾ بِالدَّهْرِ

وَأَشِمَّ بِ﴿تَأْمَعْنَا﴾ وإن شئتَ فاخْتَلِسْ

بُنُونٍ قَدَّمَهُ مَعَ الخَطَفِ في المَرِّ

﴿يَبْصُطُ﴾ فاقرأها بِسِينٍ و﴿بَصْطَةً﴾

وفي الطُّورِ زدْ صَادًا وَقَدَّمَهُ للشَّهْرِ

وبالصَّادِ وَجْهًا وَاحِدًا ﴿بُصَيْطِرٍ﴾

وَفِي ﴿ضَعْفٍ﴾ رُومٍ قِيلَ ضَمُّ لَهُ يَسْرِي

﴿فِرْقٍ﴾ لِأَجْلِ الْقَافِ فَاقْرَأْ مُفَخَّمًا

وَتَرْقِيقًا قَدَّمَ لِضَعْفٍ مَعَ الْكَسْرِ

وَقَائِلُهُ رِضْوَانُ يَرْجُو مِنْ «الَّذِي

يُعَلِّمُهُ الْخَيْرَ الدُّعَاءَ لَدَى الْفَجْرِ»

وَلِلَّهِ حَمْدِي فِي الْخِتَامِ مُصَلِّيًّا

عَلَى أَحْمَدٍ مَا نَاحَ فِي فَتَنِ قُمْرِي



من حلقة الأدب والأخبار

أبداعات أهل شعرية ♦ فخرية

جلساء الملتقى

وقفة على أطلال الصبا

للشاعر فيصل المنصور

هذي الديارُ فقِفْ ، واستنطقِ الحجرَا * واذرفِ دُموعَكَ في ساحاتِها دِرَرا

يا لَيْتَ شعري ، وقد قَفَّتْ حملُهُم * ولم يُنيلوكِ ممَّا تشتهي وطرَا

هل واصلُ حبلٍ مَن أهوى مودَّتُهُ * أم عائدٌ لي مِن عيشي الَّذي غَبَرا

نظرتُ ، فانفضَّ دَمعي ما أَكْتَمُهُ * إنَّ المُجِبَّ مُعَنَّى حيثُما نَظَرا

كُنَّا وكانت لنا الأَيَّامُ ضاحِكَةً * تُرخي عَلينا - ولم نَشعرُ بها - سُترا

أَيَّامٌ أهتُرِّيَّانَ المُنى ، طَرَبَا * كالْعُودِ يَهْتَرُّ في أغصانِهِ نَصِرا

أغدو على اللّهُ واللَّذاتِ مُغْتَبِطا * حينًا ، وأسحبُ ذيلَ الأنسِ مُفْتَخِرا

يا لهفَ نَفسي على عهدِ الصِّبا ؛ فلَقَدْ * ولَّى ، وأعقبَ في قَلبي له ذِكرَا

ولَّى ، ولللّهِرِ في حالاتِهِ غَيْرُ * مُستوفِزاتٍ ، ومَن ذا يَأْمَنُ الغِيرا

شهر الصيام تصرمت أيامه

للشاعر زيد الأنصاري

- شَهْرُ الصَّيَامِ تَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ * وَتَقَوَّضَتْ أَوْتَادُهُ وَخِيَامُهُ
فَبَكَتْ قُلُوبُ الصَّالِحِينَ وَودَّعَتْ * شَهْرًا يَلِدُ صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ
وَتَفَطَّرَتْ أَكْبَادُهُمْ لِفِرَاقِهِ * حَتَّى كَأَنَّ خِتَامَهُ آلَامُهُ
وَمَضَى بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ * فَأَظْلَمَ بِرَجَائِهِمْ إِكْرَامُهُ
يَتْلُونَ آيَاتِ الْكِتَابِ بَلِيلِهِ * حَتَّى تَبَدَّدَ بِالْقِيَامِ ظَلَامُهُ
وَالْعَبْدُ مَهْمَا زَادَ فِي إِخْلَاصِهِ * لَا تَنْقُضِي آمَالَهُ وَمَرَامُهُ
هَانَتْ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ صِيَامِهِ * شَهَوَاتُهُ وَشَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَمَضَى يُكَابِدُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ * وَقَدْ اسْتَنَارَ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ
وَلَقَدْ شَرُفَتْ عَلَى الشُّهُورِ جَمِيعُهَا * فَالْعَامُ مَأْمُومٌ وَأَنْتَ إِمَامُهُ

- كالغيث أحيّا الأرض بعد موتِها * ثمّ أنجلى بعد الحياة غمّامه
 الخمسة الأركان في طيّاته * فالحجّ فيه والزكاة تمامه
 فالحمد لله الكريم لفضله * وعلى النبيّ صلاته وسلامه
 من كابد الليل الطويل مرّثلاً * آياته فتفطّرت أقدامه
 والفضل للرحمن ليس لغيره * لا فاءؤه أو ضاذه أو لامه
 من يسرّ الذكر الحكيم بمنّه * فجرى بأفواه العباد كلامه
 كم فائزٍ بالعتيق من نيرانه * أو رابحٍ قد كُفّرت آثامه
 أو خاسرٍ لم يبتدر أيامه * بالصّالحات فعيّشه أو هامه
 رمضان يدرّكه ولم يغفر له * قد طال في هذي الحياة منامه



استعجال الشر

للشاعر أبي طعيمة

كتب الأخ الفاضل الأستاذ صالح العمري قصيدة رائعة أسماها (راكب الحنبل) ^(١) ،
ردًا على قصيدة بذيئة كتبها أحدهم ، كان قد استهلها بالشتيم والقذف والطعن ببعض
العلماء ، فما كان إلا أن استثار قريحتي واستفزني ، فلم أملك إلا أن كتبت هذه الأبيات :

تَعَجَّلْتَ ذَمًّا لَوْ صَبَرْتَ لَنِلْتَهُ * وَلَكِنَّ أَهْلَ الدَّمِّ لِلدَّمِّ أَسْرَعُ

وَمَا كَانَ ضَرًّا لَوْ صَبَرْتَ وَرَبَّيْمَا * يُنِيلُ الْفَقْرُ صَبْرًا وَيُرْدِيهِ مَجْرَعُ

تَجَرَّعْتَ سُمًّا دُونَهُ كُلُّ مُهْلِكٍ * مِنَ السُّمِّ يَا بُنْسَ الَّذِي تَتَجَرَّعُ

فَهَلَّا سَأَلْتَ الْعَالَمِينَ فَإِنَّمَا * بِمِثْلِ هَذَا هُمْ نَقَتَدِي حِينَ نَفْرَعُ

تَذَكَّرْتُ قَوْمًا ضَرَّهُمْ طَوْلُ عَيْشِهِمْ * وَأَوَّلَى بِعَيْشِ الْمَرْءِ إِنْ طَالَ يَنْفَعُ

(١) نُشِرَتْ فِي مَجَلَّةِ الْمُلْتَقَى (العدد ٩ - ص ٨٤) .

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَازِعِ الشَّيْبِ رَادِعٌ * لَهُ عَنْ دُرُوبِ الْغَيِّ مَاذَا سَيَرَدَعُ

حَيَاءُ الْفَقَى فِي عَمْرَةِ الْعَيْشِ مُعْجَبٌ * وَجَهْلُ مَشِيبِ الرَّأْسِ عَارٌ مُقَدَّعُ

أَيَسْتَبْدِلُ الْمَرْءُ الْحَصِيفُ مَكَانَةً * مِنْ الدُّلِّ يَهْوَى بِالْتِي هِيَ أَرْفَعُ

وَلَكِنَّهُ الْجَهْلُ الْمُبِيرُ لِأَهْلِهِ * فَكَمْ جَاهِلٍ أَرَدَاهُ جَهْلٌ وَمَطْمَعُ

فَإِنَّ قَلِيلَ الْجَهْلِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ * وَإِنَّ كَثِيرَ الْجَهْلِ لِلْمَرْءِ مَصْرَعُ



دع ذا وحبر مدحة في الملتقى

للشاعر محمد بن عبد الحي

يا طيفَ أسماءَ الذي تطرّقا
حتى أتاني هاجعا ... فأرقا
أني اهتديت وقطعت الطرّقا ؟
وهي ببُولا ق وداري ذو النقا
أذكرتني عهدا قديما أخلقا
إذ تسمحين - يا سُمَيَّ - باللقى
فنتساق الحب كاسا مدهقا
بأعني من العفاف والتقى
لما حسبت الأمر قد توثقا
واجتمع الشمل لنا - تفرقا
كان الغواني طبعهن الملقا

ثُمَّتْ يَأْجَمُنَ الْأَسِيرَ مُوبَقًا
 حَتَّامَ ذِكْرَاكَ حَبِيبًا أَبَقَا؟
 هَلْ فِي الْعَوَانِي مَنْ وَفَى أَوْ صَدَقَا؟
 دَعْ ذَا وَحَبْرَ مِدْحَةٍ فِي (الْمُلْتَقَى)
 فِي خَيْرِ أَصْحَابٍ وَخَيْرِ رُفَقَا
 وَأَوْجُهُ كَالْبَدْرِ حِينَ أَنْقَا
 وَأَعَذِبِ النَّاسِ جَمِيعًا مَنْطِقَا
 مِنْهُمْ تَعَلَّمَتِ اللَّغَى وَالْخُلُقَا
 وَمَجْلِسٍ يَفْوَحُ طَيْبًا عَبَقَا
 أَلْفَ أَشْتَاتَا كِرَامًا عُرُقَا
 لَكِنَّهُ يَنْفِي اللَّئِيمَ مُدَحَقَا
 نَفَى الْمَدِينَةِ الْخَبِيثَ الْأَفْسَقَا
 لَا يَنْطِقُ اللَّغَوَ بِهِ مَنْ نَطَقَا
 إِنْ غَاضَ عِلْمُ النَّاسِ يَوْمًا أُغْدَقَا
 أَوْ رَجَّهُوا بِالْغَيْبِ قَوْلًا حَقَّقَا

أَوْ عِيَّ عِيَّ بِالْجَوَابِ انْطَلَقَا
لِلَّهِ دُرٌّ (فَيْصَلٍ) إِذْ طَفِقَا
يَشِيدُهُ صَرْحًا عَظِيمًا مُونِقَا
مِنْ بَعْدِمَا كَانَ يَبَابًا سَمَلَقَا
(أَبَا قُصَيٍّ) الْأَدِيبَ اللَّبِقَا
يَسِيرُ نَحْوَ الْمَكْرُمَاتِ عَنَقَا
لَيْسَ بِلَجْلَاجٍ وَلَا بِأُخْرَقَا
(فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَقَّفَا)
فَكَمَ بِهِ مِنْ مَّاجِدٍ قَدْ أَفَقَا
وَقَارِيٍّ إِمَّا تَلَاهُ حَذَقَا
وَشَاعِرٍ شَبَّهَتْهُ الْفَرَزْدَقَا
وَذِي مَقَامَاتٍ خَطِيبٍ أَشَدَقَا
وَحَسَنِ الْخَطِّ إِذَا مَا نَمَّ قَا
عَلَيْهِمْ (رِضْوَانُ) بَدْرًا مُشْرِقَا
(أَثْنٌ عَلَيْهِ صَادِقًا مُصَدَّقَا)

بما عَلا أقرانهُ وسَبقا
 فإن تَمَنَّيتَ الَّذِي قد بَسَقا
 وأن تَرَقَّى في الدُّرى كما ارتقى
 - يَأْيُهَا الطَّالِب - فَأَتِ (المُلْتَقَى)
 أَلِمَ به مُصْطَبِحًا مُغْتَبِقا
 واستَقِ مِنْهُ العِلْمَ فيمَنِ استَقى
 فإن كَشَفْتَ بِهِمُ مُسْتَغْلِقا
 عَلَيْكَ ، أو فَرَجْتَ يَوْمًا ضَيِّقا
 فَالْحُرُّ إن نَّيْلَ الجَمِيلِ رَزَقا
 سَلِ الَّذِي مِنْ فَضْلِهِ ما خَلَقا
 صَفراءَ حَسَناءَ تُضِيءُ الأُفُقَا
 يَرْقُبُهَا الشَّيْخُ الكَبِيرُ قَلِقا
 حَتَّى إِذَا بَدَتْ لَهُ تَشَرَّقا
 كَأَنَّهُ حينَ اسْتَوَى وارْتَفَقا
 لَدَيْعُ صِلِّ نَجَعَتْ فِيهِ الرُّقَى

يَقُولُ لَمَّا انْجَابَ عَنْهُ مَا لَقَى

وَانْكَسَرَ الْقُرُوءُ وَلَّى فَرَقَا

سُبْحَانَ مَنْ جَلَّى عَلَيْنَا الشَّرْقَا

- سَلَهُ يَدِمْهُ عَامِرًا مُسْتَوْثِقَا

وَأَنْ يَقِيَهُ الْحَدَثَانِ مَا بَقَا



وبعد ، فإنه لم يشكر الله من لم يشكر الناس ، وقد نفعني الله بهذا الملتقى ، كنت ضالاً مُتردداً على أبواب العلوم ، مُختلِفاً بين مناهج الطلب حتى أتيتُه ، فوجدتُ ما ألتبسُه مُصوراً في جلسائه تصويراً ، فلم أحتج إلى مُساءلتهم ، لكن طُفقت أتعيلهم حتى أضاء لي الطريق ، وأنهج السبيل ، والهدى يُعدي .

فلم يكن أحدٌ أحق بمدحي منهم ... فدوّنكم أبياتاً أذكرُ فيها حق الملتقى عليّ ، وأثني على أهله بما هم أهله ، فتقبلوها تقبّل الكريم جهد المُقلّ ؛ فقد زعموا أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال في دُعائه : أي ربّ ، أما إنّه لو كان لك حِمَارٌ علفته مع حِماري ! فهمّ به نبيهم ، فأوجي إليه : أما علمت أنّي أجزي كلّاً على مقدار عقله .

فهذا مقدار عقلي ، ولو قدرْتُ على خيرٍ منه لقد شكرْتُ لكم به .

فالشكر لأبي قُصِّي خاصَّةً لِيَدِهِ في إنشائه ، ثمَّ لأبي إبراهيم ، لما يلي من القيام عليه
واستِصلاحه ، ثمَّ للجلِساءِ عامَّةً ، وإنَّ فيهم لأحسنَ عِندي بلاءً ، وأعظمَ عليَّ منَّةً ، وأكثرَ بي
حفاوَّةً .

وبعدُ ، فقد علَّمتنا نبينا ﷺ إذا أحبَّ المرءُ أخاهُ أن يُعلمه ، وإني أُحبُّكم في الله حبًّا
لا يَظْفَأُ أَوَارُهُ حتَّى أَجلِسَ إليكم في جَنَّةِ الله ، فنتطارَحُ المسائلَ ، ونتنازع الحديثَ ، ونحمد
الله على نِعَمَتِهِ ، وما أَكرَمَنا في الدُّنيا والآخرة ، إِنَّه غَفورٌ شكورٌ .
والسَّلامُ .



علَّقت الأستاذة (عائشة) مُقرَّظةً فقالت :

أُتَحَفَّنَا (مُحَمَّدٌ) مُوَفَّقَا

بِرَجَزٍ حَبْرُهُ وَنَمَّقَا

تَخَالُهُ رَوْضًا بِهِجًا مُؤَنَّقَا

أَوَّلُولُوا فِي عِقْدِهِ تَأَلَّقَا

زَيْنَ هَذَا الْعِقْدِ جِيدَ (الملتقى)

إِنَّ بِهِ قَوْمًا كِرَامًا خُلِقَا

حازوا علوماً وبيانا مشرقا

وأدباً ومنطقاً مُذَلِّقا

كأنهم زُهرٌ تُنيرُ الأفقا

جزاهمُ الرَّحْمَنُ خيراً غَدَقا

وجنَّة الخلدِ وعيشاً دَغَفَقا

وبعد ، فما شاء الله ! حَبَّرَتْ فَأَحْسَنْتَ ، فَبُورَكَتْ مِنْ أَدِيبٍ كَرِيمٍ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ،
ورفعَ قَدْرَكَ ، وشَكَرَ وَفَاءَكَ لِهَذَا الْمُلْتَقَى الطَّيِّبِ ، وَأَهْلِهِ الْكَرَامِ ، جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، وَبَارَكَ
فيهِمْ ، وَنَفَعَ بِهِمْ ، وَأَدَامَ هَذَا الْمُلْتَقَى عَامِرًا زَاهِرًا ، وَزَادَهُ فَضْلًا وَنُورًا .



المقامة اللغوية

حدَّثنا أبو الوليد عن بعضِ أغارييه وأعاجييه في بلادِ العربِ ، فكانَ حديثُهُ في غايَةِ العَجَبِ ، فكانَ ممَّا حَكَاهُ مِنْ أخبارِ أولئكِ البشرِ ، مِنْ غريبِ الخبرِ ، ممَّا تُستجَلَى بهِ العِبرُ ، قَالَ أَطَالَ اللهُ بقاءَهُ ، وَصَرَفَ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ :

يا ابنَ أَخِي ، قد هَفَّتْ نَفْسِي إلى التَّطَوُّافِ في البلادِ ، لاستِجلاءِ أخبارِ العبادِ ، كما كانَ يَفْعَلُ أَجدادُنَا الأكابرُ ؛ إذ كانوا يتوارثونَ الرِّحْلَةَ كَابرًا عن كابرٍ ، فأعددتُ لذلِكَ الأمتعةَ ، مُتَشَوِّقًا لِلرَّحْلَةِ المُمْتَعَةِ ، وشَحَذْتُ لذلِكَ هَمَّتِي ، وتوَكَّلْتُ على الله في رِحْلَتِي ، ويَمِّمْتُ وَجْهِي شَطْرَ أرضِ العربِ ، وفيها مِنَ العِبرِ الكفايةُ لمن طَلَبَ ؛ فهي أرضُ الأجدادِ ، وَمَنْزَلُ الأشاوسِ الأنجادِ .

ونزلتُ في أرضِ الحَضَرِ ، بين نَسْلِ ربيعةَ ومُضَرَ ، فإذا أنا بقومٍ أَلَسْتُهم عَجِيبةً ، وكلما تُهم غريبةً ، يَرِطُنونَ رِطَانَةَ العَجَمِ ، كأنَّما قد أَصابَهم البَكمُ ، فسألتُ : مَنْ القومُ ؟ وأين نَسْلُ العربِ اليَوْمَ ؟ فتضاحكوا وتغامزوا ، وتهامسوا وتهامزوا ،

فَعَجِبْتُ مِمَّا يَضْحَكُونَ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَسْخَرُونَ ؟ لَقَدْ سَأَلْتُهُمْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ، غَيْرَ مُتَفَاصِحٍ وَلَا عَيْيٍّ ، وَبَيْنَمَا أُقَلِّبُ بَصْرِي فِيهِمْ كَالْحَالِمِ ، إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ وَرَائِي قَائِمٍ ، فَقَالَ : أَهْلًا وَمَرْحَى ، بِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى . ثُمَّ سَارَ بِي عَلَى طَوْلِ الطَّرِيقِ ، وَانْتَشَلَنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ كَانْتِشَالَ الْغَرِيقِ .

وَأَخَذَ يَقْصُّ عَلَيَّ نَبَأَ أَوْلَئِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، الضَّاحِكِينَ الشَّامِتِينَ ، فَإِذَا هُمْ عَرَبٌ قَدْ تَبَدَّلَتْ هُويَّتُهُمْ ، وَانْتَكَسَتْ فِطْرَتُهُمْ ، وَقَدْ رَسَخَتْ فِيهِمُ الْعُجْمَةُ رَسوخًا ، وَتَبَدَّلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ إِلَيْهَا فَصَارُوا مُسَوخًا ، وَإِذَا هُمْ بُلْغَاءُ فِي لُغَةِ الْعَجَمِ ، بُلْدَاءُ فِي لُغَتِهِمُ الْأُمِّ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقْرَارَهَا وَلَا يَعْرِفُونَ أَسْرَارَهَا .

فَوَقَفْتُ فِي أَرْضِ الْعُرُوبَةِ شَارِدًا أَبْكِي بُنَاءَ الْمَجْدِ مِنْ قَحْطَانِ

أَهْلَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ جَمِيعَهُمُ الْحَافِظِينَ رِسَالَةَ التَّبْيَانِ

وَأَخَذْتُ أَجُولُ فِي شَوَارِعِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ ؛ لَعَلِّي أَطَّلِعُ عَلَى فَصَاحَةِ أَلْسِنَتِهِمْ ، فَمَا رَاعَنِي شَيْءٌ كَمَا رَاعَنِي اسْتِشْرَاءُ الْعُجْمَةِ فِيهِمْ ، بَيْنَ عَامَّتِهِمْ وَمُتَعَلِّمِيهِمْ ؛ فَأَسْمَاءُ مُحَالِّهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ أَسْمَاءُ مُبَدَّلَةٍ ، وَالْقَائِمُ أَعْجَمِيَّةٌ غَيْرُ مُبَجَّلَةٍ ؛ فَالْشُّوقُ صَارَ (الْهَائِبَرِ) ، وَالْأَخْتُ صَارَتْ (سِسْتَرِ) ، وَالْأَبُ (فَذَرِ) ، وَالْأُمُّ (مَذَرِ) ، وَصَارَ الْعَمُّ وَالْخَالَ (أُونَكَلِ) ، هَلْ هَذَا بَرَبُّكَ شَيْءٌ يُعْقَلُ ؟

ما بال النَّاسِ قد تنكَّروا لِلْغَتِّهِمْ ، وهي رَمَزُ عِزِّهِمْ وفَخَارِهِمْ ، هل نأتِ اللُّغَةُ
يومًا عن تحمُّلِ الأعباءِ ؟ حتَّى يَسْتَبْدِلُوا بها لُغَةَ الأعداءِ ! وهل جَنَتْ في حقِّهِمْ جِنَايَةً
حتى تُرْمَى بالسُّوءِ والزُّرَايَةِ ؟ وحتَّى يَشَبَّ على بُغْضِهَا الصَّغِيرُ ، وَيَتَنَكَّرَ لأنوارِهَا
الكَبِيرُ ! ويتفنَّنَ في السُّخْرِيَةِ مِنْهَا السُّفَهَاءُ ، وَيَنَأَى عن الدِّفَاعِ عنها البُلْغَاءُ ! وَيُرْمَى
أهلُوها والمُسْتَمْسِكُونَ بها بالزُّورِ والبُهْتَانِ ، وَيَصِيرَ البُكْمُ الجُهَّالُ سَادَةَ الأوطانِ ؟!

أَبْنِي العُرُوبَةَ أَبْشِرُوا بِقَطِيعَةٍ تُرْدِيكُمْ لِمَجَاهِلِ الأَزْمَانِ
فَارَقْتُمْ لُغَةَ الكِتَابِ وَنَلْتُمْ مِنْهَا مَنَالِ الجَاهِلِ الحِيرَانِ
وَطَفَقْتُمْ تَسْوَلُونَ كَلَامَكُمْ بِمَوَائِدِ الجُهَّالِ والبُكْمَانِ

ودَلَفْتُ إلى معاهدِ العُلُومِ ، لأُجَالِسَ أصحابَ الفُهُومِ ، القائمينَ على ميراثِ
الأنبياءِ ، الحُفَظَآءَ لَهُ والأُمَنَاءَ ، فإذا هي خِلَؤُ مِنْ العُلُومِ إِلَّا التُّفَّ ، مِنْ كُلِّ عِلْمٍ
مُقْتَطَفٌ ، وَالطُّلَّابُ بَيْنَ شَارِدٍ بِفِكْرِهِ مُنْصَرِفٌ ، وَآخِرُ عَنْ سَبِيلِ العِلْمِ مُنْعَطِفٌ ، وَإِذَا
الأفهامُ مُتَعَثِّرَةٌ ، والألقابُ مُتَغَيِّرَةٌ ، وَقَدْ صَارَ المُعَلِّمُ والمُعَلِّمَةُ المُسْتَرَّ والمِسْ ، وَنَزَلَتْ
مَكَانَتُهُمْ إِلَى دَرَكٍ بَخْسٍ ، وَهُمْ سَاكِتُونَ وبَالْدُونٍ رَاضُونَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !
فَجَمَعْتُ الأساتذةَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ ، أَعْظَمُهُمْ وَأَذْكَرَهُمْ ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ بَلِيغًا ،
وَلَا مَنْ يَسْتَطِيعُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ تَبْلِيغًا ؛ فَأَفْصَحُهُمْ مُتَفَاصِحٌ ، وَجَهْلُهُ جَهْلٌ فَاضِحٌ ، إِلَّا

مَنْ رَحِمَ رَبِّي وَعَصَمَ ، وَبَلَّسَانِ أَجْدَادِهِ اعْتَصَمَ ، وَهُمْ قَلَّةٌ فِي وَسْطِ حُطَامٍ ، كَالنُّورِ فِي
رَحِمِ الظَّلَامِ . فَأَخَذْتُ أَتَبَسَّمُ لَهُمْ ، وَأَرْفُقُ بِهِمْ ، وَأَرْمَقُهُمْ بِلَطَائِفِ اللَّوَاحِظِ وَأَنَا أَتْلُو
عَلَيْهِمُ الْمَوَاعِظَ ، فَكَانَ مِمَّا قُلْتُ لَهُمْ :

يَا مَعْشَرَ الْأَسَاتِذَةِ ، وَالْمُصْلِحِينَ الْجَهَابِذَةِ ، قَدْ وَلَّاكُمْ اللَّهُ أَمَانَةَ الْعُلُومِ ،
وَجَعَلَكُمْ مَفَاتِيحَ لِمَغَالِيقِ الْفُهُومِ ، فَأَنْتُمْ أَمَانُ الْخَائِفِ الشَّرِيدِ ، وَقِبْلَةُ الْعَارِفِ
الْمُسْتَزِيدِ ، وَمَقْصَدُ الطُّلَّابِ ، وَالْمَنَاهِلُ الْعَذَابِ ، وَالْوَرْدُ الْمَعِينِ ، وَالضِّيَاءُ الْمُسْتَبِينِ ،
فاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَوْلَاكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا وَلَّاكُمْ .

يَا مَعْشَرَ الْمُعَلِّمِينَ ، تَعَلَّمُوا لُغَةَ أَجْدَادِكُمْ ، فَهِيَ رَمْزُ أَجَادِكُمْ ، وَعُنْوَانُ
فَخَارِكُمْ . وَمَا عَزَّ قَوْمٌ إِلَّا بِعِزِّ لِسَانِهِمْ ، وَمَا ذُلُّوا إِلَّا بِافْتِنَانِهِمْ ، فَلَا تَبْغُوا بُلْغَتَكُمْ
الْبَدَائِلَ ، وَلَا تَحِيدُوا عَنْ نَهْجِ الْأَوَائِلِ ، فَقَدْ كَانُوا سَادَةَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، وَمُلُوكَ
الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ .

يَا مَعْشَرَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَنَسْلَ الْعَرَبِ الْأَكْرَمِينَ ، أَحْبُوا لِسَانَكُمْ ، وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ ،
وَافْخَرُوا بُلْغَتَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَتَحَدَّثُوا بِهَا وَانْشُرُوهَا فِي رُبُوعِ الْعَالَمِينَ ، فَالْخَيْرُ كُلُّ
الْخَيْرِ فِي مُحَبَّتِهَا ، وَالرَّشَادُ وَالْهُدَى فِي رَفْعِ مَنَارَاتِهَا وَقُبَّتِهَا .

يا نَسْلَ يَعْرُبَ إِنْ طَلَبْتُمْ مَجْدَكُمْ وَمَفَاخِرَ الْأَيَّامِ وَالْأَوْطَانِ
 فَلْتَحْفَظُوا عَنِّي وَصَاةَ نَزِيلِكُمْ لَا مَجْدَ فِي قَوْمٍ بِإِلَاتِيَانِ
 فَلِسَانُكُمْ خَيْرُ اللُّغَاتِ جَمِيعِهَا يَكْفِيهِ مَا يَحْوِي مِنَ الْقُرْآنِ
 فَتَعَلَّمُوا هَذَا اللِّسَانَ وَأَفْصَحُوا فَالْمَجْدُ فِي الْفُصْحَى عَظِيمُ الشَّانِ

ثمَّ قام عني أبو الوليد قاطعاً عَذْبَ كَلَامِهِ ، كاتماً مَرَّ أَوْجَاعِهِ وآلَامِهِ .





* اقرأ في هذا العدد *

مقالة: (في الابتداء) بحذف الياء أم بإثباتها ؟ ٤

الكاتب : فيصل المنصور

حلقة النحو والتصريف

مقالة: شذرات من كتاب (أقسام القرآن) لابن القيم (٣) ١٨

الكاتبة : عائشة

حلقة البلاغة والنقد

أرجوزة (تذكرة الإملاء) ٣٦

الكاتب : حميد الحمادي

حلقة العروض والإملاء

مقالة : في علم متن اللغة والمعجمات ٤٨

الكاتب : أبو الليث الشيراني

حلقة فقه اللغة ومعانيها

مقالة : دفائن الحماسة (٢) ٦٦

الكاتب : صالح العمري

حلقة الأدب والأخبار

منظومة (الرائية في أحكام حفص من طريق الشاطبية) ٨٨

الكاتب : رضوان آل إسماعيل

حلقة العلوم الشرعية

إبداعات أدبية لجلساء الملتقى ٩٣

قصيدة : وقفة على أطلال الصبا

للشاعر فيصل المنصور

قصيدة : شهر الصيام تصرمت أيامه

للشاعر زيد الأنصاري

قصيدة : استعجال الشر

للشاعر أبي طعيمة

قصيدة : دع ذا وحبر مدحة في الملتقى

للشاعر محمد بن عبد الحي

المقامة اللغوية

للأديب محمود العيسوي

حلقة الأدب والأخبار

فهرس الموضوعات ١١١

